جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

# عناصر الإبداع الفنى والقصصى فى رائية عمر بن أبى ربيعة

الدكتور
**عبد الحافظ عبد المنصف خليف**
أستاذ الأدب والنقد المساعد فى كلية اللغة العربية
فرع جامعة الأزهر بالمنوفية

العدد الثامن عشر
للعام ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م
الجزء الثالث

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٤م
الترقيم الدولى ISSN 2356-9050

# المقدمة

الحمد لله رب العالمين، نستعين به، ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونستفتح بالذى هو خير " ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير " .

وصل الله على سيدنا محمد ، سيد الأولين والآخرين ، وعلى آل بيته الطاهرين ، وعلى صحابته البررة الأخيار ، ومن تبعهم وسلك طريقهم بإحسان الى يوم الدين .

وبعد ...

فإن القصيدة العربية تعد بناء قصصيا متكاملا ، توافرت فيه كل أطراف القصة ، وتوحدت فى أشكالها كل الضروب الفنية والقدرات الأدبية التى دفعت بعض نماذجها الى التفوق ، فحملت أشكال القصص وإبداعات المؤلفين ، الذين لونوا كل قصة بما يجعلها قادرة على الأداء وفق العطاء الفردى، والالتزام الفنى.

والصورة القصصية التى تحتفظ بها القصيدة العربية لم تكن جاهزة أو مركبة ، وإنما هى امتداد حضارى لفكر مبدع ، ومسيرة فكرية لروافد وإبداعات إنسانية متراكمة ، حققتها الذات العربية ، وقدمتها عطاء أدبيا متطورا ، وفنا إنسانيا متقدما ، تخللته العواطف ، وشدت أواصره عوامل الشوق الحادة ، وعاشت فى فيضه طاقات الإنسان الذى أخلص لموروثه من خلال الالتزام بكل المناهج المتطورة .

ولقد استطاع " عمر " فى رائيته – التى بين أيدينا – أن ينسج أحداث القصة ، ويجمع أطرافها لتتلاقى فى موضوع واحد ، وتتحد فى إطار شعرى متجانس ، وسرد قصصى متسلسل ،تنمو من خلاله القصيدة نموا فنيا متكاملا ، وتتألف من وحداتها عوالم القصة تألفا دقيقا يوحى بالاستيعاب الكامل ، والإحساس الواعى ، ويعكس القدرة القصصية التى كان الشاعر يتمتع بها .

فقد بدأ بوضع الخطوط الأولى ، ورسم شخوص هذه القصة من خلال الأحداث ، وإحاطتها بالظرف الزمانى والمكانى ، ثم وضع النهاية التى تنتهى إليها الأحداث .

وفى ثنايا ذلك تتجلى لحظات التركيز التى تدفع القارىء أو السامع إلى المتابعة والانتباه ، وتخلق الجو القصصى الذى يعطى الحدث بعده ، ويحدد للمعانى مواقعها .

وقد بدأت الدراسة بالحديث عن " ابن ربيعة " فى عجالة سريعة ، ثم أخذت فيما قصدت اليه من تحليل القصيدة تحليلا أدبيا فنيا قائما على اظهار السمات ، وإبراز الخصائص التى تكشف عن آيات الإبداع الفنى فى هذه الرائية من حيث اللفظ والمعنى، والموسيقى ، والصورة الشعرية ، وعرضت – كذلك – لما كان مبهما من لغويات النص ،وكانت لى وقفات أخرى مع مناسبة القصيدة ، والمعنى العام ، ومدى ما اشتملت عليه من وحدة عضوية.

ثم تصديت لمحور هذه الدراسة ومقصودها الأسمى ألا وهو "العنصر القصصى فى القصيدة"، فعرضت لفجر القصة الشعرية فى الأدب العربى منذ العصر الجاهلى حتى زمن "عمر بن أبى ربيعة"، ثم كان لى حديث مفصل عن العناصر القصصية فى الرائية، كالزمان، والمكان، والشخصيات، والحوار، والأحداث، والعقدة، والتشويق، والحل، ثم كان التحليل الفنى ختاما لهذا البحث.

وفى الختام نقول : إن البناء القصصى المحدد فى هذا البحث ، سوف يظل بداية فى دراسات أكبر من أجل توسيع هذا المفهوم ، وترسيخ ركائزه ، لخلق أدب عربى واسع الآفاق ،شديد الصلة ، ملتزم الأهداف والغايات ، لأن محاولة اثبات البناء القصصى للقصيدة العربية يعنى تحولا كبيرا فى كثير من مجالات الأدب ، واتجاها نحو إعادة النظر فى الأحكام التى قيلت أو ألصقت بالأدب العربى.

وأخيرا : أرجو أن أكون قد وفقت فى قراءة القصيدة ، وإماطة اللثام عما فيها من فن عمرى رفيع فياض ، يعطى قارئه ودارسه فى كل قراءة ودراسة شيئا لم يظفر به فى القراءة الأولى .

وعلى الله قصد السبيل .

الباحث

# المبحث الأول

## ١ـ عمر بن أبى ربيعة ومعالم حياة
## ٢ـ القصيدة ( النص واللغة )

## عمر بن أبى ربيعة (٢٣-٩٣هـ =٦٤٥-٧١٥م )

هو "أبو الخطاب عمر بن عبدالله بن أبى ربيعة بن حذيفة بن المغيرة بن عبد الله "يعود فى نسبه إلى بنى مخزوم من بنى غالب بن فهر ،فهو مخزومى قرشى(١).

ولد فى السنة الثالثة والعشرين للهجرة ليلة مقتل- أمير المؤمنين – عمر ابن الخطاب – ﷺ –،أى فى حوالى سنة ثلاث وعشرين للهجرة ،وكانت ولادته ونشأته فى مكة ، والى ذلك يشير فى شعره قائلا :

وأنا امرؤ بقرار مكة مسكنى ∴ ولها هواى فقد سبت قلبى(٢)

من هذا النسب يتبين أن " عمر "ينتمى الى أسرة قرشية ذات حظ غير قليل من الشرف والمجد والغنى " فعبد الله أبو عمر كان يسمى فى الجاهلية بحيرا ، وقد سماه الرسول – ﷺ – عبد الله ،وقيل : إنه كان يلقب بالعدل ، لأنه كان يكسو الكعبة عاما ، وتكسوها قريش عاما آخر ،وجده " حذيفة بن المغيرة "كان يلقب " بذى الرمحين "لطوله ، لأنه كان يقاتل برمحين،وكانت جدته عطارة أو تاجرة عطر، وأمه من سبايا اليمن "(٣) .

نشأ "عمر "مترفا مدللا جميلا غنيا ،فقد توفى والده وهو صغير وترك له إرثا من المال والمجد أفاد منه فى لهوه وعبثه(٤) .

وكان كبير العناية بمظهره وجماله ، يتطيب بأفضل الطيب، ويرتدى أفخر الثياب ، ويمتطى أجود الخيل ،شديد الولع بالنساء .

لم تكن السياسة من همه ، وقد تشدد بنو أمية على من يسلكها من أهل الحجاز،فانصرف الى تتبع النساء ومعا شرتهن حتى سار أمره بين الناس، وضجت

---

(١) الشعر والشعراء – ابن قتيبة –٢-٥٥٣–ت–أحمد شاكر– دار المعارف– مصر –دت
(٢) السابق–٢-٥٥٣، والأغانى – أبو الفرج الأصفهانى –١-٨٠
(٣) الديوان– ت– محى الدين عبد الحميد – ص٤٢٣–مطبعة السعادة – القاهرة –١٩٦٠م
(٤) الأغانى – أبو الفرج الأصفهانى –١-٧٤ – ضبطه وراجعه –عبد الله العلايلى – موسى سليمان –أحمد أبو سعد –دار الثقافة – بيروت – الثالثة –١٩٦٢م

به القبائل ،وكاد " عبد الملك بن مروان " يهدر دمه لولا حرمة أبيه، ورغبة السلطة فى عدم إثارة ذى الشأن من أهل الحجاز .

فى ظل هذه الحياة العابثة اللاهية اصطبغ شعره،فذهب يصور به مشاعره ومشاعر المرأة المكية فى عصره ،واستمر فى هذا التصوير حتى آخر حياته.

وقد تميز شعر " عمر بن أبى ربيعة "عن غيره من الشعراء بأنه من الشعراء القلائل الذين صوروا لنا حياتهم الاجتماعية ، لا سيما الناحية التى تتعلق بالمرأة وصلته بها ، وذلك يعد " شعره خير مصدر لدراسة حياة المرأة الحجازية فى عصره ، من حيث عاداتها وأخلاقها ولبسها وتفكيرها " [١]

وبعد حياة حافلة باللهو والعبث ،انتقل الى جوار ربه ومحل عفوه وكرامته ، فى سنة ثلاث وتسعين للهجرة النبوية الشريفة على أصدق الروايات .

(١) ديوان عمر بن أبى ربيعة – ت–د–يوسف شكرى فرحات– ص٩– دار الجيل – بيروت– الأولى –١٩٩٢ .

# القصيدة "النص واللغة "

قبل الولوج الى عالم القصيدة نقف وقفة يسيرة على ما أجمعت عليه المصادر والمراجع التى تناولت شعر "عمر بن أبى ربيعة" ومن هذه الأشياء :

أولا- لقد عرفت الرائية فى كتب الأدب والنقد ب"نعم" .

ثانيا- عدد أبياتها خمسة وسبعون بيتا فى شرح ديوان " عمر " لمحمد محى الدين عبد الحميد[١]، وكذا فى خزانة الأدب ، وتقل عن ذلك أبياتا ثلاثة فى الأغانى[٢]، والكامل[٣].

رابعا – كان من أمر هذه القصيدة أن " ابن الأزرق أتى " ابن عباس " يوما فجعل يسأله حتى أمله ، فجعل ابن عباس يظهر الضجر ، وطلع " عمربن عبد الله بن أبى ربيعة" على ابن عباس ، وهو يومئذ غلام . فسلم وجلس ، فقال له ابن عباس : ألا تنشدنا شيئا من شعرك ؟ فأنشده:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ∴ غداة غد أم رائح فمهجر؟

حتى أتمها ، وهى ثمانون بيتا ، فقال له ابن الأزرق : لله أنت يابن عباس ! أنضرب اليك أكباد الإبل نسألك عن الدين فتعرض ، ويأتيك غلام من قريش فينشدك سفها فتسمعه ؟ فقال : تا الله ما سمعت سفها !، فقال ابن الأزرق : أما أنشدك :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت ∴ فيخزى وأما بالعشى فيخسر

فقال ما هكذا قال : إنما قال :" فيضحى وأما بالعشى فيخسر " قال أو تحفظ الذى قال ، قال : والله ما سمعتها الا ساعتى هذه ، ولو شئت أن أرددها لرددتها ، قال : فارددها ، فأنشده إياها كلها "[٤] .

ويروى صاحب الأغانى "و أنشد عمر هذه القصيدة " طلحة بن عبد الله بن عوف الزهرى " وهو راكب ، فوقف وما زال شانقا ناقته حتى كتبت له "[٥]

---

(١) الديوان- ص ٩٢- مطبعة السعادة- القاهرة ١٩٦٠م.
(٢) الأغانى- أبو الفرج الأصفهانى – ١- ٨٤-٨٩.
(٣) الكامل فى اللغة والأدب – المبرد – ت- محمد أبو الفضل ابراهيم – ٣- ٢٣٥- دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة – دت.
(٤) السابق -٣-٢٢٨-٢٢٩ ، الأغانى -١-٨١-٨٢.
(٥) الأغانى – ١-٨٩.

**وسنذكر أبيات القصيدة كاملة كما وردت فى ديوان "عمر" بتحقيق " محمد محى الدين عبد الحميد ".**

**١- أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ∴ غداة غد أم رائح فمهجر ؟[١]**

**٢- لحاجة نفس لم تقل فى جوابها ∴ فتبلغ عذرا والمقالة تعذر[٢]**

**٣- أهيم الى نعم فلا الشمل جامع ∴ ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر[٣]**

**٤- ولا قرب نعم إن دنت لك نافع ∴ ولا نأيها يسلى ولا أنت تصبر [٤]**

**٥- وأخرى أتت من دون نعم ومثلها ∴ نهى ذا النهى لو يرعوى أو تفكر [٥]**

**٦- إذا زرت نعما لم يزل ذو قرابة ∴ لها كلما لا قيتها يتنمر[٦]**

**٧- عزيز عليه أن ألم ببيتها ∴ يسر لى الشحناء والبغض يظهر[٧]**

**٨- الكنى اليها بالسلام فإنه ∴ يشهر إلامى بها وينكر[٨]**

**٩- بآية ما قالت غداة لقيتها ∴ "بمدفع أكنان " أهذا المشهر ؟[٩]**

**١٠- قفى فانظرى أسماء هل تعرفينه ؟ ∴ أهذا المغيرى الذى كان يذكر ؟[١٠]**

**١١- أهذا الذى أطريت نعتا فلم أكن ∴ وعيشك أنساه الى يوم أقبر؟[١١]**

**١٢- فقالت نعم لاشك غير لونه ∴ سرى الليل يحي نصه والتهجر [١٢]**

**١٣- لئن كان إياه لقد حال بعدنا ∴ عن العهد والإنسان قد يتغير [١٣]**

---

(١) الغادى- المسافر فى الصباح ، والرائح -المسافر فى المساء ، والمهجر ، المسافر وقت الظهيرة"

(٢) تعذر- تنفى العذر والمراد أنه لا يقبل له عذر فى الكلام على هذه الحاجة ، اذ لا يجوز البوح بها .

(٣) تهيم ، تشتاق ، الشمل ، شمل القوم أى مجتمعهم ، والحبل موصول ، كناية عن استمرار الاتصال.

(٤) دنت ، قربت ، والنأى ، البعد ، يسلى ، ينسى .

(٥) نهى – كف وزجر ، النهى ، العقل ، ترعوى ، تكف وترتدع ..

(٦) ذو قرابة ، أحد أقاربها ، يتنمر ، يشتد غيظه كالنمر .

(٧) عزيز عليه – شديد عليه ، الشحناء ، العداوة والبغضاء والحقد ، يسر – يكتم .

(٨) الكنى اليها- احمل الوكتى اليها والألوكة الرسالة، يشهر – يذاع، المامى، نزولى وزيارتى.

(٩) الآية – العلامة ، ومدفع أكنان ، اسم موضع ، والمدفع ، مجرى المياة ، يذكر لها علامة كلامها لتتأكد من صدق الرسول ، والمشهر : المشهور .

(١٠) المغيرى ،عمر بن أبى ربيعة نسبة الى المغيرة جد أبيه .

(١١) أطرى – بالغ فى المدح أو أحسن الثناء ، والنعت ، الوصف .

(١٢) السرى – السير ليلا ، يحى ، يصرف وقته ، والنص من الشىء منتهاه ، والتهجر ، المسير فى الهاجرة .

(١٣) حال تغير .

١٤- رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت ∴ فيضحى وأما بالعشى فيخصر [١]

١٥- أخا سفر جواب أرض تقاذفت ∴ به فلوات فهو أشعث أغبر [٢]

١٦- قليل على ظهر المطية ظله ∴ سوى ما نفى عنه الرداء المحبر [٣]

١٧- وأعجبها من عيشها ظل غرفة ∴ وريان ملتف الحدائق أخضر [٤]

١٨- ووال كفاها كل شيء يهمها ∴ فليست لشيء آخر الليل تسهر [٥]

١٩- وليلة ذى دوران جشمتنى السرى ∴ وقد يجشم الهول المحب المغرر [٦]

٢٠- فبت رقيبا للرفاق على شفا ∴ أحاذر منهم من يطوف وأنظر [٧]

٢١- اليهم متى يستمكن النوم منهم ∴ ولى مجلس لولا اللبانة أوعر [٨]

٢٢- وباتت قلوصى بالعراء ورحلها ∴ لطارق ليل أو لمن جاء معور [٩]

٢٣- وبت أناجى النفس أين خباؤها ∴ وكيف لما آتى من الأمر مصدر ؟ [١٠]

٢٤- فدل عليها القلب ريا عرفتها ∴ لها وهوى النفس الذى كاد يظهر [١١]

٢٥- فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت ∴ مصابيح شبت بالعشى وأنؤر [١٢]

---

(١) عارضت ، ارتفعت وقابلت ، يضحى ، يتعرض للشمس ، يخصر ، يبرد فهو دائم السفر فى فى حر الهاجرة وبرد الليل .

(٢) أخو سفر ، كثير الأسفار ،جواب ، قطاع ،من جاب الأرض قطعها ، الأشعث ، المغبر الرأس ، والأغبر ، فى لونه غبرة وجفاف .

(٣) المطية من الدواب ما يركب وهى تذكر وتؤنث، فالبعير مطية، والناقة مطية، والمحبر، المذين٠

(٤) ريان – كثير وممتلىء، والملتف، المجتمع المتكاثف، يقال : التف الشجر بالمكان إذا كثر.

(٥) ووال ، كل من ولى أمر أو قام به أو ملكه ، يهمها ، يقلقها ويحزنها.

(٦) ذى دوران ، الموضع الذى كانت فيه المغامرة ، جشمتنى السرى ، كلفتنى السير ليلا ، والمغرر ، من يعرض نفسه للهلاك.

(٧) المنحدر وشفا كل شيء حرفه وحده - ١-الشفا-

(٨) استمكن النوم منهم- ناموا نوما عميقا – اللبانة، الحاجة والهوى، الوعر، الصعب.

(٩) القلوص ، الناقة الفتية القوية ،العراء، الفضاء لا يستتر فيه شيء، المعور، الذى لاحافظ له

(١٠) ناجى النفس ، سارها ، مصدر ، أى الرجوع والخلاص من المأزق الذى هو فيه .

(١١) الريا ، الرائحة الطيبة ،وهوى النفس ، ميلها .

(١٢) شب ، أشعل ، وأنؤر ، جمع نار

٢٦- وغاب قمير كنت أهوى غيوبه ∴ وروح رعيان ونوم سمر[١]

٢٧- وخفض عنى الصوت أقبلت مشية الـ ∴ حباب وشخصى خشية الحى أزور[٢]

٢٨- فحييت إذ فاجأتها فتولهت ∴ وكادت بمخفوض التحية تجهر[٣]

٢٩- وقالت وعضت بالبنان فضحتنى ∴ وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر[٤]

٣٠- أريتك إذ هنا عليك ألم تخف ∴ وقيت ؟ وحولى من عدوك حضر ؟[٥]

٣١- فوالله ما أدرى أتعجيل حاجة ∴ سرت بك أم قد نام من كنت تحذر ؟[٦]

٣٢- فقلت لها بل قادنى الشوق والهوى ∴ اليك وما نفس من الناس تشعر

٣٣- فقالت وقد لانت وأفرخ روعها ∴ كلاك بحفظ ربك المتكبر[٧]

٣٤- فأنت أبا الخطاب غير مدافع ∴ على أمير ما مكثت مؤمر[٨]

٣٥- فبت قرير العين أعطيت حاجتى ∴ أقبل فاها فى الخلاء فأكثر

٣٦- فيا لك من ليل تقاصر طوله ∴ وما كان ليلى قبل ذلك يقصر[٩]

٣٧- ويالك من ملهى هناك ومجلس ∴ لنا لم يكدره علينا مكدر[١٠]

٣٨- يمج ذكى المسك منها مقبل ∴ نقى الثنايا ذو غروب مؤشر[١١]

---

(١) قمير ، تصغير قمر ويقصد الهلال ، روح الرعيان ، رجعوا فى المساء ، السمر ، المتحدث المتحدث ليلا .

(٢) الحباب ، الحية ،أزور ، منحرف أو مائل .

(٣) تولهت ، تحسرت وتحرقت ويقصد لقد صرخت من المفاجأة ، والكنون ، المستور.

(٤) البنان ، الأصابع ،وهى كناية عن الخوف أو الندم أو الإعجاب ، والأعسر ، الصعب

(٥) أريتك ، أنبئنى أطلب رأيك وأصلها أرأيتك ، هنا عليك ، وحضر ، جمع حاضر

(٦) سرت بك ، مشت بك ليلا أو دفعتك للمجىء فى الليل

(٧) كلاك، أى حفظك ربك ورعاك .

(٨) أبو الخطاب كنية عمر، غير مدافع ، أى غير مزاحم ولا يرد لك أمر

(٩) تقاصر طول الليل ، كناية عن المسرة ، وطول الليل كناية عن القلق والهموم والخوف من الغد.

(١٠) الملهى ، الملعب ، وكدر فلانا ، غمه

(١١) يمج ، يلفظ ، ذكا المسك ، فاضت رائحته وسطعت ،المقبل ، الفم ،والغروب ،جالغرب وهو كثرة الريق فى الفم – والمؤشر ، المحزز والمرقق أطرافه من الثنايا،والمراد أن تحدد المرأة أسنانها وترققها .

٣٩- تـــراه إذا مـــافتر عنـــه كأنـــه ∴ حصـــى بـــرد أو أقحـــوان منـــور[١]

٤٠- وترنـــو بعينيهـــا الى كمـــا رنـــا ∴ الى ظبيـــة وســـط الخميلـــة جـــؤزر[٢]

٤١- فلمـــا تقضـــى الليـــل الا أقلـــه ∴ وكـــادت تـــوالى نجمـــه تتغـــور[٣]

٤٢- أشارت بـأن الحـى قـد حـان مـنهم ∴ هبـــوب ولكـــن موعـــد منـــك عـــزور[٤]

٤٣- فمـــا راعنـــى الا منـــاد ترحلـــوا ∴ وقـــد لاح معـــروف مـــن الصـــبح أشـــقر[٥]

٤٤- فلمـــا رأت مـــن قـــد تنبـــه مـــنهم ∴ وأيقـــاظهم ، قالـــت : أشـــر كيـــف تـــأمر ؟

٤٥- فقلـــت : أبـــاديهم فإمـــا أفـــوتهم ∴ وإمـــا ينـــال الســـيف ثـــأرا فيثـــأر [٦]

٤٦- فقالـــت : أتحقيقـــا لمـــا قـــال كاشـــح ∴ علينـــا وتصـــديقا لمـــا كـــان يـــؤثر ؟[٧]

٤٧- فـــإن كـــان مـــا لابـــد منـــه فغـــيره ∴ مـــن الأمـــر أدنـــى للخفـــاء وأســـتر

٤٨- أقـــص علـــى أختـــى بـــدء حـــديثنا ∴ ومـــا لى مـــن أن تعلمـــا متـــأخر

٤٩- لعلـــهما أن تطلبـــا لـــك مخرجـــا ∴ وأن ترحبـــا ســـربا بمـــا كنـــت أحصـــر [٨]

٥٠- فقامت كئيبـا لـيس فـى وجههـا دم ∴ مـــن الحـــزن تـــذرى عـــبرة تتحـــدر [٩]

٥١- فقالت لأختيهـا : أعينـا علـى فتـى ∴ أتـــى زائـــرا والأمـــر للأمـــر يقـــدر

٥٢- فقامـــت اليهـــا حرتـــان عليهمـــا ∴ كســـاءان مـــن خـــز دمقـــس وأخضـــر

٥٣- فأقبلتـــا ، فارتاعتـــا ، ثـــم قالتـــا ∴ أقلـــى عليـــك اللـــوم فالخطـــب أيســـر

---

(١) افتر ، ابتسم وبدت ثناياه ، البرد ، حبات الثلج المتجمدة بعد انفصالها من الغيم ماء، منور ، متفتح فى إبان إزهاره

(٢) ترنو ، تديم النظر فى سكون طرف ، الخميلة ، الشجر المجتمع الكثير الملتف ،والجؤزر،ولد ،والجؤزر،ولد الظبية.

(٣) انقضى – فنى وانقطع ،توالى نجمه ، أواخر نجومه ،تتغور ، تتغيب .

(٤) هبوب ، استقاظ القوم ، وعزور ، اسم مكان

(٥) راعنى ، أفزعنى ،ترحلوا ، استعدوا للسفر ، مفتوق الصبح ، ضياء الصبح ، الأشقر ،الذى أشرب بياضه حمرة

(٦) أباديهم ، أبادرهم بالعدوان ، أفوتهم ، أنجو منهم ،فيثأر، أى ينالون ثأرهم منى بحد السيف

(٧) الكاشح ، العدو والمبغض ، يؤثر ، يحكى أو ينقل عنا

(٨) ترحبا ، تتسعا ، والسرب ، الصدر والقلب والنفس ، أحصر ، أضيق به صدرا

(٩) تذرى- تسكب وتنثر وتتساقط ، كانت كئيبة الوجه حزينة تتحدر دموعها غزيرة.

٥٤- فقالت لها الصغرى سأعطيه مطرفى ∴ ودرعى وهذا البرد إن كان يحذر[١]

٥٥- يقوم فيمشى بيننا متنكرا ∴ فلا سرنا يفشو ، ولا هو يظهر

٥٦- فكان مجنى دون من كنت أتقى ∴ ثلاث شخوص كاعبان ومعصر[٢]

٥٧- فلما أجزنا ساحة الحى قلن لى ∴ ألم تتقى الأعداء والليل مقمر ؟

٥٨- وقلن : أهذا دأبك الدهر سادرا ∴ أما تستحى أو ترعوى أو تفكر ؟[٣]

٥٩- إذا جئت فامنح طرف عينك غيرنا ∴ لكى لا يحسبوا أن الهوى حيث تنظر [٤]

٦٠- فآخر عهد لى بها حيث أعرضت ∴ ولاح لها خد نقى ومحجر[٥]

٦١- سوى أننى قد قلت يانعم قولة ∴ لها والعتاق الأرحبيات تزجر [٦]

٦٢- هنيئا لأهل العامرية نشرها الـ ∴ لذيذ ورياها الذى أتذكر[٧]

٦٣- وقمت الى عنس تخون نيها ∴ سرى الليل حتى لحمها متحسر[٨]

٦٤- وحبسى على الحاجات حتى كأنها ∴ بقية لوح أو شجار مؤسر[٩]

٦٥- وماء بموماة قليل أنيسه ∴ بسابس لم يحدث به الصيف محضر[١٠]

---

(١) المطرف ، ثوب مخطط الأطراف ، والدرع ، القميص والثوب الصغير تلبسه الجارية فى البيت ، والبرد ، كساء مخطط يلتحف به

(٢) مجنى ، ترسى ووقائى ، الكاعب ، الفتاة فى مطلع الشباب ، والمعصر ، المرأة البالغة المدركة

(٣) دأبك ، عادتك وسيرتك ، السادر ، الذى لا يبالى بما يصنع واللاهى والعابث،ترعوى ، ترتدع

(٤) إذا زرتنا فأدر عينيك الى غيرنا من النساء ، فيحسب الناس أن هواك مع من تنظر اليهن فترفع التهمة عنا

(٥) المحجر – مشق جفن العين ، وهو أيضا الموقع الذى يقع القناع عليه

(٦) العتاق ، جمع عتيق وأراد الخيل ،والأرحبيات ، جمع أرحبى وهو المنسوب الى أرحب قبيلة قبيلة من همدان

(٧) والنشر ، الريح الطيبة ، والريا كذلك

(٨) العنس ، الناقة ، وتخون نيها ، يريد تنقص شحمها

(٩) حبسى على الحاجات ، يريد حبسى اياها على حاجتى ، واللوح ، الصفيحة العريضة ، الشجار بكسر الشين ، مركب دون الهودج ، ومؤسر ، مشدود

(١٠) بموماة ، بفتح فسكون الصحراء وجمعها الموامى ، وبسابس جمع بسبس وهو القفر ليس فيه أحد.

٦٦- بـــه مبتنـــى للعنكبـــوت كأنـــه ∴ علـــى طـــرف الأرجـــاء خـــام منشـــر[١]

٦٧- وردت ومـا أدرى أمـا بعـد مـوردى ∴ مـــن الليـــل أم مـــا قـــد مضـــى منـــه أكثـــر

٦٨- فقمـــت الى مغـــلاة أرض كأنهـــا ∴ إذا التفتـــت مجنونـــة حيـــث تنظـــر

٦٩- تنـازعنى حرصـا علـى المـاء رأسـها ∴ ومـــن دون مـــا تهـــوى قليـــب معـــور

٧٠- محاولـــة للمـــاء لـــولا زمامهـــا ∴ وجـــذبى لهـــا كـــادت مـــرارا تكســـر

٧١- فلمـا رأيـت الضـر منهـا وإننـى ∴ ببلـــدة أرض لـــيس فيهـــا معصـــر[٢]

٧٢- قصرت لها من جانب الحوض منشأ ∴ جديـــدا كقـــاب الشـــبر أو هـــو أصـــغر[٣]

٧٣- إذا شـــرعت فيـــه فلـــيس لملتقـــى ∴ مشـــافرها منـــه قـــدى الكـــف مســـأر[٤]

٧٤- ولا دلـــو الا القعـــب كـــأن رشـــاءه ∴ الى المـــاء نســـع والأديـــم المضـــفر[٥]

٧٥- فسـافت ومـا عافـت ومـا رد شـربها ∴ [٦]عـــن الـــرى مطـــروق مـــن المـــاء أكـــدر[٧]

---

(١) الخام ، الجلد الذى لم يدبغ

(٢) ليس فيها معصر ، ليس فيها منجى ولا ملجأ

(٣) كقاب الشبر ، أى كقيد الشبر .

(٤) المشافر ، جمع مشفر وهو للبعير بمنزلة الشفه للإنسان ، وقدى الكف ، قدره ، ومسأر ، أى أى فضلة تبقيها من ماء .

(٥) القعب ، القدح الذى يروى الرجل ، والرشاء ، الحبل الذى تجذب به الدلو من البئر ، والنسع والنسع ، جمع نسعة وهو حبل من جلد يكون على هيئة عنان النعل ، والأديـم المضـفر ، المجدول من الجلد .

(٦) سافت ، شمت ، عافت ، أى لم تكدره الورود والشرب ، أكدر تغير اللون

(٧) الديوان – ص٩٢-١٠٣-ت-محى الدين عبد الحميد-مطبعة السعادة -القاهرة -١٩٦٠م.

# " المبحث الثانى "

# " معالم القصيدة "

# ١ ـ المعنى العام .

# ٢ ـ الوحدة العضوية

## مناسبة القصيدة

تعد القصيدة الرائية " أمن آل نعم " من أشهر قصائد " عمر بن أبى ربيعة " وقد نظمها فى امرأة تسمى "نعم " ، و قيل : " إنها من ولد أبى سفيان بن حرب " و قيل امرأة كتم شخصيتها و أشار غليها باسم " نعم "[١].

وفيها يروى "عمر" فى قالب قصصى جميل قصة حبه "لنعم" يوم كانت فتاة عزيزة، وتحول عنها إلى غيرها، ولكن ظل فى نفسه شىء منها .

وتزوجت ورحلت مع قوم زوجها، وبعد فترة من الزمن عادت القبيلة لتحل قرب مكة ، و جاء " عمر " رسله بأنبائها ، فعزم على زيارتها . فارتقب حتى كان الليل ، فأقبل و أقام على شفا مشرف يراقب منازل القبيلة ، حتى نام الناس ، و غاب القمر . فنهض من مكانه ، و مضى حتى بلغ خدرها ، فولجه ، و قضى لديها الليل حتى مطلع الفجر ، و لما استيقظ القوم اضطر إلى التنكر فى زى امرأة لينجو من آذاهم .

(١) ديوان عمر بن أبى ربيعة ــ د / يوسف شكرى فرحات ــ ص ١٩٣ــ

## الدراسة و التحليل

يبدأ عمر قصيدته بالوقوف على الأطلال خلافا لما هو الحال فى معظم قصائده ، و يتخذه سبيلا ليتساءل عن صاحبته و يقص بعض ما يذكره عنها ، و يذكر موقفه مع صواحبها و قد خلون إلى أنفسهن ، فانطلقت ألسنتهن بأمنياتهن و كان هو أمنيتهن ، فظهر فى الأفق فارس فوق حصانه الأغر ، فعرفوه من خلال ريحه التى هبت عليهن و يتساءلن عنه متجاهلات عارفات وهل يخفى القمر؟

" فعمر" مضطرب قلق الأعصاب ، كثير التردد على ديار " نعم " و لكنه لا يجد السبيل إلى لقياها ، فيجد فى الطلب ليل نهار فلا يجد به ذلك ، و قرب " نعم " غير نافع له ، لأنها مع جماعتها ، و كذلك بعدها لم يجعله ينساها ، و لا يستطيع الصبر عنها . و لا يجرؤ على البوح بما فى نفسه ، و الناس يرونه فى غدوه و رواحه يعجبون لأمره ، و لا يستطيع أن يردع نفسه عما هى فيه ، فالقلب غير مقصر عن حب " نعم " و إن حالت بينه و بينها الحوائل ، ثم يذكر الشاعر أنه إذا زار "نعما " يعبس أقاربها فى وجهه ، لأنه يصعب عليهم أن ينزل بيتها ،هم يضمرون له البغضاء و يظهرونها ،و لذلك فهو يطلب من رسوله أن يحمل رسالته إليها ، لأن زيارته لها تستنكر و تستغرب.

ويبعث مع الرسول علامة إلى حبيبته لتؤكد صدق رسالته و هى : أن يذكرها بلقائهما فى " مدفع أكنان " يوم سألت أختها عنه ، و قد أشارت إليه بمشط كان فى يدها : أهذا الذائع الصيت ؟ أهذا المغيرى المشهور ؟ أهذا الذى بالغت فى وصفه حتى اشتقت إلى لقائه و لم أكن أنساه حتى أموت ؟ فقالت أختها : نعم ، و لكن لا شك أن كثرة أسفاره فى الليل و الهاجرة هى التى غيرت لونه ، فقد تغير حاله عما كنا نعهده عليه .

فقد رأت رجلا لا يستقر له مكان ، فهو يظهر للشمس و يبرز إذ توسطت السماء، وفى الليل يبرد بسيره فيه، فهو دائم السفر فى حر الهاجرة وبرد الليل.

يجوب الصحارى حتى أضناه السير والسهر فأصبح متفرق الشعر ، مغبر الوجه لا يركن إلى الراحة والدعة، لا يظله شىء على ظهر المطية من الحر والبرد إلا ما يوفره له ثوبه المزين .

وهى مقيمة فى بيتها بين أشجار وارفة الظلال خضراء ، يكفيها زوجها أو القائم على أمورها مؤونة الحياة ، و يوفر لها كل احتياجاتها فلا تهتم بشىء .

ثم يروى مغامرة من مغامراته التى يرويها فى كثير من قصائده ، ، وهذه المغامرة كانت فى مكان يسمى " ذى دوران " ، وفى هذه المغامرة تجشم عناء السفر ليلا حتى يصل الى محبوبته ، وعندما وصل الى مكانها ، اختفى فى مكان وعر قريب من ديارها يراقب القوم حتى يخلدوا للنوم لكى يظفر بمحبوبته .

وهذا المكان الذى اختفى فيه كان موحشا قفرا ما كان يحتمل مقامه لولا حاجة نفسه فى الوصول الى محبوبته ، وبات فى هذا المكان مع ناقته الفتية .

وظل الشاعر مراقبا للقوم حتى اذا خفتت الأصوات ، وأطفئت الأنوار ، وغاب القمر ، وعاد الرعيان بالأغنام إلى الخيام ، ونام السمار ، أخذ الشاعر يتساءل بينه وبين نفسه عن خيمة محبوبته فى وسط خيام القوم الكثيرة ، ولكن من يدله عليها وهو مختفيا عن أعين القوم .

ثم يذكر الشاعر أنه قد استدل على خيمة محبوبته بعلامتين :

الأولى– رائحة عطرها ، والثانية – قلبه وحبه هداه إليها .

عندئذ . تسلل الشاعر من مخبئه كالأفعى ، وسار منحنيا حتى لايحس به أحد من القوم ويتنبه إليه ، ثم فاجأ الشاعر حبيبته داخل الخيمة ملقيا عليها السلام ،فأظهرت الحزن ، وعضت على أناملها قائلة: لقد فضحتنى وسط قومى ، ألم تخف من أعدائك المحيطين بى ؟ ما الذى أتى بك ؟ هل هناك حاجة عاجلة جعلتك تتسلل إلى رغم وجود الأعداء ؟ أم أنك أمنتهم لأنهم نائمون ؟

كل هذه الأسئلة وغيرها دارت فى رأسها وألقتها عليه فى عجلة وخوف من هول المفاجأة .

ثم يرد عليها الشاعر مطمئنها .أن أحدا لم يشعر بقدومه إليها ، وهنا هدأت نفسها ، ودعت له أن يحفظه الله من أعدائه ، ثم أسلمت له قيادها ، وجعلت له الأمر عليها مدة مكوثه معها .

ويقص الشاعر علينا ما حدث فى هذه الليلة فيقول :إنها كانت قصيرة جدا مقارنة بلياليه الطويلة قبل ذلك ، وقد قضاها فى تقبيل فمها الجميل ذى الثنايا

البراقة التى تشبه البرد ،ورائحته الجميلة التى تشبه رائحة المسك ، وهى تجاوبه وتنظر إليه بعينين جميلتين تشبه عينى ابن البقرة الوحشية .

فى ظل هذه السعادة الغامرة التى يعيشها الشاعر مع محبوبته ، انقضى الليل وكادت نجومه تغور دون أن يحس الشاعر ، عندئذ أخبرته محبوبته بأن موعد استيقاظ القوم قد حان ، وأن عليه أن ينصرف ، ثم أعطته موعدا للقاء آخر فى " عزور " وهو مكان بعيد عن أعين القوم .

وبينما هما على هذه الحالة إذ صاح منادى القوم بالرحيل ، وقد بدأ ضوء الصبح يلوح فى الأفق، انزعجت محبوبته وأدخل الروع فى قلبها ، ثم سألته ، كيف المخرج وقد تنبه القوم وسوف يفتضح أمره إن رأوه ؟ فقال لها : أرى أن أخرج لهم وأواجههم فإما أن أنجو منهم وإما أن يأخذوا ثأرهم منى .

لكنها خافت عليه من هذا التصرف واعترضت عليه قائلة : إنك إن خرجت سوف ظفروا بك وقتلوك لأنهم كثر ، بالإضافة الى أن هذا سوف يؤدى الى افتضاح أمرى والى تصديق أقوال الذين يبغضونى ويتنا قلون الأقوال الكاذبة عنى، ثم أشارت عليه بالحل الأمثل الذى يحميه ويبقى أمرها سرا وهو : أن تستشير أختيها فى الأمر وتطلب منهما مساعدتها فى هذه المشكلة التى ضاقت بها صدرا ، ولم تدرى كيف تتصرف بشأنها .

ثم ذهبت الى أختيها وهى فى حالة شديدة من الحزن وعيناها تذرفان الدمع، وقصت عليهما ما هى فيه، وطلبت معونتهما لهذا الزائر .

فخافت الأختان فى بداية الأمر، وبعد تفكير قصير اهتديتا الى الحل الذى جاء من الأخت الصغرى للخروج من هذه الأزمة .

وهو : أن تعطى الشاعر قميصها ورداءها ليتنكر فيهما ،ويخرج ماشيا بينهم فلا يتنبه اليه أحد ، وهكذا كان .

وخرج الشاعر يمشى بين ثلاثة أشخاص كن له وقاية وحصنا مما يخافه ويخشاه ، وهن فتاتان كاعبان وامرأة شابة .

فلما تجاوزن ساحة الحى ، وأصبحوا بمنأى عن عيون القوم، انبرين اليه يعاتبنه على ما حدث منه ويقلن له: ألم تخف من الأعداء فى هذه الليلة المقمرة؟ أما آن الأوان أن تعود عن غيك وتفكر فى عواقب الأمور ؟

ثم طلبن منه اذا قدم مرة أخرى أن يوجه نظره الى غيرهم حتى يظن القوم أنه لا يقصدهم .

وهكذا كان آخر عهده بحبوبته " نعم" التى ودعته وتركته منصرفة مع أختيها ، الا أنه استوقفها قائلا لها: هنيئا لأهلك أيتها العامرية ما يجدونه من طيب رائحتك الذكية التى لا أنساها أبدا ، ووجودك بينهم .

ثم قام الى ناقته التى أتعبها السفر ، ويبين ما اعتراها من العطش ، حتى أصبحت تشده الى الماء فى تلك الأرض التى لم يقطنها بشر .

# الوحدة العضوية

عرف الدكتور "محمد غنيمى هلال" الوحدة العضوية بأنها:"وحدة الموضوع، ووحدة المشاعر التى يثيرها الموضوع، وما يستلزم ذلك فى ترتيب الأفكار والصور ترتيبا به تتقدم القصيدة شيئا فشيئا حتى تنتهى الى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور ، على أن تكون القصيدة كالبنية الحية، لكل جزء وظيفته فيها ، ويؤدى بعضها الى بعض عن طريق التسلسل فى التفكير والمشاعر"(١)

وعلى الرغم من أن مفهوم الوحدة العضوية بمعناه الحالى يعد حديثا، الا أن براعة الشاعر " عمر بن أبى ربيعة " وفحولته الشعرية جعلته يحقق هذا المفهوم فى قصيدته قبل ظهوره بألف وثلثمائة عام تقريبا .

فقد بدأ قصيدته بمقدمة ذكر فيها حبه لـ"نعم"وهيامه بها ، وعدم استطاعته الوصول اليها، وهو يجد فى الطلب ليل نهار ولكن وجود " نعم" بين أهلها يمنعه من لقائها ،وهنا يقترح أن يرسل اليها رسولا من عنده ويعطيه علامة الى حبيبته تؤكد صدق رسالته .

الكنى اليها بالسلام فإنه ∴ يشهر المامى بها وينكر
بآية ما قالت غداة لقيتها ∴ بمدفع أكنان : أهذا المشهر ؟

وتعد هذه المقدمة تمهيدا لموضوع القصيدة وهو : وصف مغامرته لزيارة محبوبته "نعم" ، وتنتهى المقدمة عند قوله :

أخا سفر جواب أرض تقاذفت ∴ به فلوات فهو أشعث أغبر

ثم يصل الى موضوع القصيدة ، ويبدأ فى سرد وقائع ما حدث له فى "ذى دوران " ليلا، فيقول :

وليلة ذى دوران جشمتنى السرى ∴ وقد يجشم الهول المحب المغرر

ويستمر فى سرد ما حدث متتبعا فى ذلك الأسلوب القصصى(٢) فى أحداث متسلسلة ، ووقائع مترابطة ، وترتيب منطقى ، حتى أنه ليصعب أحيانا تقديم بيت على بيت ، أو وضع فكرة فى مكان أخرى .

---

(١) النقد الأدبى الحديث–ص٣٧٢/ دار نهضة مصر للطبع والنشر.
(٢) سنعرض له بالتفصيل فى المبحث التالى من هذا البحث – إن شاء الله تعالى –

# المبحث الثالث
# عناصر الإبداع الفنى فى الرائية

١ـ الإبداع الفنى والمعنى
٢ـ الإبداع الفنى واللفظ
٣ـ الإبداع الفنى والصورة الشعرية
٤ـ الإبداع الفنى والموسيقى الشعرية

# الإبداع الفنى والمعنى

إن من يدقق النظر فى الرائية . سيجد أن " عمر" قد اهتم بمعانيه اهتماما كبيرا، فلم يشغله اهتمامه واختياره وانتقاؤه للألفاظ عن الاهتمام بالمعنى ، فهو شاعر يعرف حق الكلمة بلفظها ومعناها .

فقد كان موفقا فى الملائمة بين لفظه ومعناه ، وذلك بما منحه الله – سبحانه وتعالى – من سلامة الذوق ، وذكاء العقل .

-١-

ولننظر الى ما فى القصيدة من المعانى لنرى مدى توفيقه فى اختيار معانيه.

ففى المطلع : يسائل الشاعر نفسه قائلا : أتذهب الى حى "نعم " مبكرا ، أو فى الهاجرة؟بسبب حاجة فى نفسك تكتمها عن الناس ولو كنت بحت بها لأقمت عذرا لنفسك، وأنت تحن الى " نعم " فلا شملك مجموع بها ، ولا أنت تكف عن حبها ، وقرب " نعم" غير نافع لك لأنها مع قومها ، وكذلك بعدها لم يجعلك تنساها، ولا أنت تستطيع الصبر عنها ، وهناك عقبة أخرى تحول دون الوصول الى "نعم" ، ويتمنى على من يمنعون ذلك لو يعودون عن غيهم ويسمحوا باللقاء.

وقد جاء الاستفهام مناسبا للمقام فى قوله :" أمن آل نعم " ؟ وهو سؤال تقريرى غرضه التأكيد والتقرير .

وكذلك سيطرت عاطفة الحزن على مطلع القصيدة ، فهو لا يستطيع نسيانها، ولا بلوغ حاجته منها، حتى أصبح أشعث أغبر لطول سفره وتنقله متتبعا لها باحثا عنها .

وتتلائم الألفاظ مع هذه الحالة، فنجد ألفاظا تدل على الحب البائس مثل :" تهيم ، والشمل ، وجامع ، والحبل موصول ، والقلب مقصر ، ونأيها يسلى ، وأنت تصبر"،

وحين بدأ الشاعر فى وصف مغامرته ليلة " ذى دوران " نجد فى البداية ، مشاعر الحذر واليقظة وهو يقف على مشارف الخيام ينتظر خلود القوم للنوم وهو

فى موقع وعر ما كان ليحتمل مقامه فيه لولا حاجة نفسه ، وبات مع ناقته الفتية فى موقع واضح لمن يأتى فى الليل أو يمر به .

وأخذ الشاعر يتساءل بينه وبين نفسه عن خيمة محبوبته وكيف يستدل عليها ، إلا أن رائحة عطرها المميزة دلت قلبه على مكانها ، كما أن هواه قد دله عليها دون أن يشعر.

ولما خفتت أصوات القوم ،وأطفئت الأنوار تأهبا للنوم ، وغاب القمر ، وعاد الرعيان بالأغنام الى الخيام ، ونام السمار . حين حدث ذلك كله ، انسل الشاعر من مخبئه كما تنسل الأفعى ، ثم فاجأ الشاعر حبيبته بالسلام ، فأظهرت الحزن وقالت : لقد فضحتنى ،وأنت رجل أيسر أمورك صعب وعسير ، ألم تخف من أعدائك المحيطين بى ؟ فهل حاجة عاجلة أتت بك رغم وجود الأعداء؟ أم أنك أمنت منهم لأنهم نائمون ؟ فطمأنها أن أحدا لم يشعر بقدومه اليها ، وهنا هدأت نفسها ، ودعت له أن يحفظه الله من أعدائه وأسلمت قيادها له ، وجعلت له الأمر عليها طول مكوثه معها .

وفى هذا المقطع نجد أن الشاعر قد نجح فى وصف قلقه ولهفته لرؤية من يحب، وساعده على ذلك الاستفهام المتكرر فى قوله: "أين خباؤها؟، ألم تخف؟، أتعجيل حاجة ؟الذى دل على الاستنكار .

وحين التقى بمحبوبته . أصبحت مشاعره فرح وسعادة ، حين استجابت حبيبته له وأعطته ما يطلب ، فبات قرير العين ، يقبل فاها فيكثر حتى إن الليل انقضى بسرعة دون أن يشعر بمروره ، لولا أن نبهته محبوبته الى انقضاء الليل وحلول موعد استيقاظ القوم .

وحين استيقظ القوم . حلت مشاعر الخوف والقلق والخشية من افتضاح أمرهما ، وقد تظاهر الشاعر بالشجاعة ، وطلب من محبوبته أن تسمح له بمناجزة القوم والظهور لهم.

ولكن هذا الرأى لم يلق ترحيبا من نعم ، وكان الشاعر على يقين من أنها لن تقبل بهذا الحل خوفا من افتضاح أمرها ، وإنما كان يهدف الى أن يبدو أمامها فى صورة الشجاع الفارس .

وقد نجح الشاعر فى تصوير مشاعر القلق على المحبوبة ، كما فى قوله :" بما كنت أحصر، فقامت كئيبا ليس فى وجهها دم ، تذرى عبرة تتحدر " .

وحين اجتازوا الحى ، ونجا الشاعر من القوم ، ونجت محبوبته من الفضيحة ، تغيرت المشاعر والحالة النفسية للفتيات الثلاث ، فأخذن يلمنه ويعنفنه، وهذه حالة طبعية لمن ينجو من مأزق بعد ظن أنه لن ينجو ، فإنه يتوجه باللوم والتقريع لمن تسبب فى هذا المأزق .

وهنا نجد عاطفة ثورة وغضب على الشاعر ، وإن كانت هذه الثورة مغلفة بالسرور والرضى ، فلم يكن عتاب الفتيات للشاعر لكى لا يكرر ما حدث منه ، بل لكى يكون أكثر حيطة فى المرة القادمة .

ولهذا طلبن منه إذا قدم مرة ثانية أن يتوجه ببصره إلى غيرهن حتى يظن أنه لا يقصدهن .

-٢-

وقد استعان " عمر " فى بعض معانيه بمعان استمدها من القرآن الكريم ، ليستمد من قوتها قوة ، ومن ذلك قوله :

فقالت وقد لانت وأفرخ روعها ∴ كلاك بحفظ ربك المتكبر

فقوله :" ربك المتكبر " ، فيه اشارة الى اسم من أسماء الله تعالى الحسنى التى وردت فى القرآن الكريم ، قال تعالى :" هو الله الذى لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر"(١)

وقوله :

لعلهما أن تطلبا لك مخرجا ∴ وأن ترحبا سربا بما كنت أحصر

فأحصر مضارع حصر – من باب فرح- أى ضاق ، وتقول :" حصرصدر فلان"تريد أنه ضاق بما عرض له فعجز عن التفكير فيه ، ولم يجد مخلصا منه ، ولعل فى هذا المعنى اقتباس من قوله تعالى :" حصرت صدورهم"(٢)

(١) الحشر-(٢٣)
(٢) النساء (٩٠)

**وقد يقتبس بعض معانيه من الشعراء السابقين عليه ، ومن ذلك قوله :**

فيالك من ليل تقاصر طوله ∴ وما كان ليلى قبل ذلك يقصر

**فالبيت مقتبس من قول امرىء القيس فى معلقته :**

فيالك من ليل كأن نجومه ∴ بكل مغار الفتل شدت بيذبل[١]

**والشعراء يكثرون من القول فى طول الليل عن الهجر والبعاد ، وقصره عند التلاقى ، وقد عكس " عمر " المعنى ،فعنده لقصر الليل، وعند امرىء القيس لطوله.**

**وقوله :**

فلما أجزنا ساحة الحى قلن لى ∴ أما تتقى الأعداء والليل مقمر

**صدر هذا البيت مأخوذ من قول امرىء القيس فى معلقته أيضا :**

فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى ∴ بنا بطن خبت ذى حقاف عقنقل[٢]

**وقوله :**

يمج ذكى المسك منها مقبل ∴ نقى الثنايا ذو غروب مؤشر

**فقد اقتبس معنى هذا البيت من قول عنترة فى معلقته :**

إذ تستبيك بذى غروب واضح ∴ عذب مقبله لذيذ المطعم[٣]

**وأراد بالمقبل فمها لأنه موضع التقبيل ، والغروب حدة الأسنان ورقتها ، والمؤشر من التأشير وهو: أن تحدد المرأة أسنانها وترققها .**

**-٣-**

**وصور الشاعر فى معانيه كثيرا من عادات العرب وتقاليدهم ، ومن ذلك مخاطبة الرجل بكنيته ، كقوله :**

فأنت أبا الخطاب غير مدافع ∴ على أمير ما مكثت مؤمر

---

(١) الديوان–ت–محمد أبو الفضل ابراهيم –ص١٧٠–دار المعارف–القاهرة– ١٩٥٨م
(٢) الديوان– ص١٧١.
(٣) الديوان – ص١٢٥–تحقيق ودراسة–محمد سعيد مولوى–المكتب الإسلامى–بيروت الثانية– ١٩٨٣م

**ومخاطبة المرأة بقبيلتها كقوله :**

هنيئـا لأهـل العامريـة نشـرها اللـ ∴ ـذيذ ورباهـا الـذى أتـذكر

**وكذلك عض الأصابع عند الندم ووقوع المصيبة ، كقوله :**

وقالـت وعضـت بالبنـان فضـحتنى ∴ وكـادت بمخفـوض التحيـة تجهـر

**وصور فى معانيه – أيضا – العادات العربية الخاصة بالسفر والترحال ، كاستخدام الخيام للراحة والتوقف فى أثناء السفر ، يقول :**

وبـت أنـاجى الـنفس أيـن خباؤهـا ∴ وكيـف لمـا آتـى مـن الأمـر مصـدر

**والتبكير بالسير قبل طلوع الشمس والمناداة بالرحيل ، كقوله :**

فمـا راعنـى الا منـاد ترحلـوا ∴ وقـد لاح معـروف مـن الصـبح أشـقر

**واصطحاب الأغنام فى السفر ، كقوله :**

وغـاب قمـير كنـت أهـوى غيوبـه ∴ وروح رعيـان ونـوم سمـر

**-٤-**

**وأشار الشاعر فى معانيه الى بعض الحقوق الإسلامية ومنها " حق الزوجة على زوجها " ، ومن هذا الحق "النفقة" ، فالزوج هو الذى يتحمل أعباء الحياة فلا يكلف زوجته أى عناء ، يقول :**

ووال كفاهـا كـل شـىء يهمهـا ∴ فليسـت لشـىء آخـر الليـل تسـهر

**وكذلك "غض البصر " ، فالرجال يغضون أبصارهم عن النساء وبالتالى لم يفطنوا اليه وهو يمشى بين الفتيات الثلاث متنكرا .**

يقـوم فيمشـى بيننـا متنكـرا ∴ فـلا سـرنا يفشـو ولا هـو يظهـر

فكـان مجنـى دون مـن كنـت أتقـى ∴ ثـلاث شـخوص كاعبـان ومعصـر

**" والغيرة عليها " فالعربى لا يقبل لنسائه أن يلقين الأغراب ، ولذلك فإن أقارب " نعم " لا يقابلون الشاعر بالترحاب حين يرونه يجوس خلال ديارهم لعلمهم بغرضه فى انتهاك محارمهم .**

إذا زرت نعمـا لم يـزل ذو قرابـة ∴ لهـا كلمـا لا قيتـه يتنمـر

والتعبير " بالتنمر" هو أقصى تعبير عن العدوانية ، والاستعداد للبطش تشبها له بالنمر.

ومن الحقوق الإسلامية التى أشارت اليها الرائية " حق المسلم على المسلم"، ومنه "إفشاء السلام عند اللقاء " ، فعندما دخل عليها ألقى عليها السلام، فقال :

فحييـــــت إذ فاجأتهـــــا فتولهـــــت ∴ وكـــــادت بمخفـــــوض التحيـــــة تجهـــــر

# الإبداع الفنى واللفظ

اللفظ هو " الوسيلة الوحيدة لإدراك القيم الشعورية فى العمل الأدبى ، وهو الأداة التى ينقل بها الأديب تجاربه الشعورية"(١)

وإذا كانت الألفاظ ملكا للشعراء جميعا ، فإنما يكون التفاضل بينهم فى ضم لفظ الى آخر، بحيث يحدث تجانس بين الكلمة وجارتها ، لذلك كان على الشاعر أن يدقق فى اختيار ألفاظه وأن يدرك " أن للأ لفاظ نسقا ونظاما يسمح لها بأن تشع أكثر مما فى شحنتها من الصور والإيقاع ، وأن تتناسق ظلالها وإيقاعاتها مع الجو الشعورى الذى تريد أن تسمعه"(٢).

والشاعر يمتلك سر الكلمة بفطرته الملهمة ، وموهبته الأصيلة ، وذوقه الفنى المرهف ، فيبث فى لغته روحا جديدة تستطيع بها أن تؤدى ما يزخر به عالم النفس من مشاعر وأحاسيس لا حدود لها ، وهو يمنح الألفاظ من الدلالات الشعورية مالا تعطيه دلالتها الذهنية المحدودة .

واللفظ ما هو الا رمز يحمل شحنا من المشاعر والإحسا سات ، ويقول الإمام " عبد القاهر " :" إننا لانوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة عن الكلام الذى هى فيه، ولكننا نوجبها لها موصولة بغيرها ومعلقا معناها بمعنى ما يليها"(٣).

كما أن اللفظ واختياره ووضعه يخضع للحالة النفسية التى كان عليها الشاعر فى أثناء كتابة قصيدته " فالشاعر فى أثناء الإبداع لا يرى الكلمات والألفاظ بمعانيها المجردة ، وإنما بمدى ما يلائم حالته "(٤) .

وباستقراء قصيدة " عمر "تجده قد اهتم بألفاظه اهتماما بالغا ، وانتقاها بعناية ووضعها فى موضعها بدقة، جعل لها سمات معينة ، متمثلة فى خصائص عدة ، منها .

---

(١) النقد الأدبى – سيد قطب – ص٧٠–دار الشروق
(٢) السابق– ص٣٧
(٣) دلائل الإعجاز– ص٣٨– دار الكتب العلمية– بيروت–١٩٨٨م.
(٤) الصنعة الفنية فى شعر المتنبى – د– صلاح عبد الحافظ – ص٥٢٦– دار المعارف – مصر ١٩٨٣م

**أولا- اللفظ والغرض الشعرى .**

**فقد ناسبت ألفاظه غرضه الشعرى الذى قال فيه قصيدته وهو " الغزل " ، فعندما تحدث عن بعد حبيبته عنه، اختار ألفاظا تناسب اللوعة والفراق من مثل : "الحبل موصول ،والقلب مقصر ، ونأيها يسلى ، والشمل جامع ، ويسر لى الشحناء ،والبغض مظهر ، وقرب نعم .**

**وعندما ذهب إليها على غفلة اختار ألفاظا تناسب الفزعة التى أصابت حبيبته من شدة المفاجأة ، فقال:**

فحييـــت إذ فاجأتهـــا فتولهـــت ∴ وكـــادت بمخفـــوض التحيـــة تجهـــر
وقالـــت وعضـــت بالبنـــان فضـــحتنى ∴ وأنـــت امـــرؤ ميســـور أمـــرك أعســـر
أريتـــك إذ هنـــا عليـــك ألم تخـــف ∴ وقيـــت وحـــولى مـــن عـــدوك حضـــر
فقالـــت وقـــد لانـــت وأفـــرخ روعهـــا ∴ كـــلاك بحفـــظ ربـــك المتكبـــر

**وعندما يصف حبيبته يختار الألفاظ المعبرة عن ذلك من مثل قوله :" يمج ذكى المسك منها ،نقى الثانايا ، تفتر عنه ، حصى برد ، أقحوان منور ، ترنو بعينيها ، ظبية وسط الخميلة ".**

**ثانيا- مناسبة الألفاظ للمعانى .**

**فقد نجح الشاعر فى اختيار الألفاظ التى تناسب المعانى التى أرادها ، فحين تحدث عن معاناته وتنقله خلف محبوبته ، جاءت الألفاظ مناسبة للمعنى ومطابقة له ، ومن ذلك قوله :" غاد ، مبكر ، مهجر ، سرى الليل ، التهجر أ أشعث ، أغبر ، أخا سفر ، جواب أرض ، تقاذفت به ، فلوات ."**

**وكذلك حين تحدث عن معانى الحذر والحيطة وهو يراقب نوم القوم ، اختار ألفاظا تناسب المعنى ، مثل " أحاذر ، رقيبا بالعراء ، فقدت الصوت ، غاب قمير ، روح رعيان ، ونوم سمر ."**

**وعند الحديث عن المشاعر والسعادة وهو يلقى محبوبته ، جاءت الألفاظ مناسبة لما أراد التعبير عنه ، مثل " بت قرير العين ، أقبل فاها ، تقاصر طوله ".**

وعند الخوف والقلق حين هب القوم من نومهم وكاد أمرهما يفتضح ، جاءت الألفاظ مؤكدة لهذا المعنى ومناسبة له ، كقوله :"راعنى كئيبا ، ليس فى وجهها دم ، تذرى عبرة "

**ثالثا- اللفظ والإيحاء .**

وقد وفق الشاعر فى استخدام الألفاظ المعبرة عن حالته النفسية والشعورية، فحين وصف تنقله وترحاله ، استخدم ألفاظا موحية مثل " جواب أرض ، "فقد جاءت صيغة المبالغة للإيحاء بكثرة أسفاره وترحاله ، وكذلك قوله :" أخاسفر"، فإنها توحى بالملازمة للسفر ، وكذلك " يضحى ويخصر " فإنهما توحيان بتتابع السفر ليلا ونهارا.

وحين وصف الشاعر خروجه من الحى متنكرا فى زى امرأة وهو يمشى خلف الفتيات الثلاث ، وصف الفتيات " بالمجن " ، وهو وصف فيه كثير من الدلالة والإيحاء ، فقد كان الشاعر فى حالة حرب مع أعدائه " الحضر " ، فجاء ذكر "المجن" وهو الترس الذى تتقى به الطعنات فى القتال، مناسبا للمقام تماما.

وكذلك الإشارة الى الأختين بكلمة "كاعبان" وهى مثنى " كاعب " ، والكاعب هى الفتاة التى كعب نهداها ،فيه كثير من الدلالة والمشابهة لكلمة " مجن" ، فالصدر الناهد الذى يسير أمام الشاعر ليحميه من أعين القوم يشبه الى حد كبير الترس البارز أمام صدر الفارس ليحميه من الأعداء .

**رابعا- المزج بين الألفاظ البدوية والحضرية .**

وقد مزج الشاعر فى رائيته بين الألفاظ البدوية والحضرية التى تدل على مهارته الشعرية وذوقه العالى ، لأن فى استعماله لها يكون أقدر على التأثير ممن يستعمل ألفاظا مهجورة ، فالألفاظ الحية أقدر على تصوير الانفعال والإيحاء بالمشاعر ، واللقاء فى البادية فى أثناء السفر .

ومن الألفاظ المناسبة للحضارة فى القصيدة حديثه عن الملابس الجميلة مثل " الرداء المحبر ، والخز والدمقس ، وكذلك أدوات الزينة ، والعطور النفاذة مثل " ريا عرفتها "

ومن الألفاظ البدوية ." الفلوات ، الحباب ، الظبية ، الجؤزر ، الرعيان "، وغيرها .

وإذا كان الشاعر أتى ببعض الألفاظ البدوية الا أنه ألبسها ثوبا جديدا قشيبا مناسبا للمقام، ذا دلالات وإيحاءات ، ولم يأت بها تقليدية مبتذلة .

**خامساً المزاوجة بين الأسماء والأفعال**

زاوج الشاعر بين استخدام الأسماء والأفعال ، وقد أدى كل منهما وظيفته طبقا للمعنى الذى يريد تأكيده .

فحين تحدث الشاعر عن طول أسفاره وترحاله ، أكثر من استخدام الجملة الإسمية للدلالة على الاستمرارية والملازمة ، مثل قوله :" غاد ، مبكر ، رائح ، مهجر ، أخا سفر ، جواب أرض ، قليل على ظهر المطية ظله ".

كما استخدم الجملة الفعلية للدلالة على المبالغة مثل قوله :" تهيم ، يسلى ، تصبر ، يتنمر ، يضحى ، يخصر ".

وكذلك للدلالة على الوصف والسرد مثل قوله :" زرت ، رأت رجلا ، دل عليها القلب، بت أناجى ، فقدت الصوت ، أطفئت ...الخ".

ولهذا فقد غلبت الجملة الفعلية على أبيات القصيدة ، وذلك عند حديث الشاعر عن مغامرته وزيارته لمن يحب .

# الإبداع الفنى والصورة الشعرية

الصورة الشعرية عنصر مهم فى الصياغة الشعرية يعتمد عليها الشاعر فى التعبير عن تجربته تعبيرا حيا مؤثرا ، ذلك أن الشاعر " بواسطة الصورة يشكل إحساسه وأفكاره وخواطره فى شكل فنى محسوس ، وبواسطتها يصور رؤيته الخاصة للوجود وللعلاقات الخفية بين عناصره"(١).

وعن طريقها " يمكنه التأثير فى نفس المتلقى ، وإثارة مشاعره وانفعالاته ، وخلق جو من الجمال التى يطيب للنفس أن تتملاه برؤاه"(٢)

وتشمل عناصر الصورة: الوصف المباشر، والأشكال البلاغية، كالتشبيه، والاستعارة ، والكناية .

والسؤال الآن : هل أجاد " عمر " فى استخدام صوره الشعرية ؟وما الأدوات التى اعتمد عليها فى تشكيلها ؟

والاجابة عن الجزء الأول ستضح عند عرض الصور والتعليق عليها ، أما الأدوات التى اعتمد عليها ، فقد اعتمد على الوصف المباشر ، والتشبيه ، والاستعارة ، والكناية، وهذا سيتضح لنا من هذا العرض الذى سيتناول الرائية من هذه الناحية – إن شاء الله تعالى – .

## أولا – الوصف المباشر

لقد دلت الرائية على مذهب " عمر " وغيره من شعراء عصره ، فهى واقعية التعبير ، تنقل الأحاسيس والمشاهد نقلا مباشرا ، وتعتمد على الصور الفنية ، كما لاتخلو من لمحات تصويرية لطيفة ، ومن ذلك حين وصف ترقبه لنوم القوم ومحاذرته أن يروه ، فجاء الوصف مباشرا حيا حتى كأننا نشهد مع الشاعر ما هو فيه ، يقول :

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت ∴ مصابيح شبت بالعشى وأنؤر

---

(١) النقد الأدبى الحديث –د– محمد غنيمى هلال –ص٤١٩– دار نهضة مصر للطبع والنشر – دت.

(٢) الأدب وفنونه–د– عز الدين اسماعيل – ص١١٠–دار الفكر العربى – القاهرة– الثالثة– دت.

وغـــاب قمـــير كنـــت أهـــوى غيوبـــه ∴ وروح رعيـــــان ونـــــوم سمـــــــــر

**فإننا نكاد نرى المشهد ما ثلا أما منا ، فقد أطفئت الأنوار ، وخفتت الأصوات ، وعاد الرعيان ، ونام السمار ، كل ذلك فى تتابع يجعل المشهد يتحرك أما منا ويتطور .**

**وكذلك مشهد المرأة العربية فى ذلك العصر ، فقد صورتها القصيدة بصورة المرأة المترفة المنعمة ، فهى تعيش " فى ظل وال كفاها كل شىء يهمها " ، ولذلك فلا يشغل بالها الا الإهتمام بزينتها ، فلباسها هو الخز والدمقس ، وعطرها مميز ومبالغ فيه حتى أن الشاعر يجعل منه دليلا يقوده الى خباء محبوبته المختفية بين الخيام ، " فدل عليها القلب ريا عرفتها " ، ولا حديث لهؤلاء الفتيات الا عن الشباب المشهورين وجمالهم ووسامتهم .**

أهـــذا الـــذى أطريـــت نعتـــا فلـــم أكـــن ∴ وعيشـــــك أنســـــاه الى يـــــوم أقـــــبر ؟

**وهذه الفتاة لاهم لها الا أن تلقى من تحب،ولا ترى فى ذلك بأس الا أنها تخاف أن يراها أحد من أقاربها ، وذلك حين طمأنها الشاعر أنه قدم اليها " وما نفس من الناس تشعر "، عندئذ " لانت وأفرخ روعها " ، وإذ لم يطلع على سرها أحد ، فلا شىء أن تلقى من تهوى وأن تعطيه ما يشاء .**

فبـــت قريـــر العـــين أعطيـــت حـــاجتى ∴ أقبـــــل فاهـــــا فـــــى الخـــــلاء فـــــأكثر

**ولا حرج من أن تطلع أخواتها على سرها وعشقها ويتعاون بعد ذلك على حل المشكلة، كما حدث بين "نعم " وأختيها اللتين دبرتا للشاعر حيلة يخرج بها من الحى دون أن يفطن اليهن أحد .**

## ثانيا – التشبيه

**التشبيه كما يدل عليه الأصل اللغوى لهذه الكلمة هو " الدلالة على مشاركة أمر لأمر ، أو هو" صفة الشىء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة ، أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه"[١]**

(١) معجم البلاغة العربية –د–بدوى طبانة– ص٢٩٦–دار المنارة للنشر والتوزيع –جدة–الثالثة– ١٩٨٨م.

والتشبيه " يزيد المعنى وضوحا ، ويكسبه تأكيدا ، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من

العجم والعرب عليه ، ولم يستغن أحد منهم عنه ، وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية ما يستدل على شرفه وموقعه من البلاغة"(١)

والتشبيه من الوسائل التى اعتمد عليها " عمر " فى تكوين صوره الشعرية فى رائيته ، وقد استخدمه الشاعر بصوره المختلفة.

فهناك التشبيه المكتمل الأركان كقوله :

تـــراه إذا مـــا فـــتر عنـــه كأنـــه ∴ حصـــى بـــرد أو أقحـــوان منـــور

فقد شبه الأسنان بالبرد ، وبياضها بالأقحوان ، وهذه الصورة حسية بصرية ركناها حسيان .

وهناك التشبيه المضاف مثل قوله :

وخفـض عنـى الصـوت أقبلـت مشـية ∴ الحبـاب وشخصـى خشـية الحـى أزور

فقوله :" مشية الحباب " تشبيها لمشيته بمشية الأفعى ، وهى أيضا صورة حسية بصرية .

وتشبيه التمثيل ، مثل قوله :

وترنـــو بعينيهـــا إلى كمـــا رنـــا ∴ إلى ظبيـــة وســـط الخميلـــة جـــؤزر

فهو يشبه إدامتها النظر اليه ، بإدامة نظر ولد البقرة الوحشية إلى الظبية ، فهو تشبيه حالة بحالة .

وهناك كثير من صور التشبيه التى وردت فى القصيدة من مثل قوله :

وحبسـى علـى الحاجـات حتـى كأنهـا ∴ بقيـــة لـــوح أو شـــجار مؤســـر

**ثالثا- الإستعارة .**

عرف النقاد الاستعارة وقدروا قيمتها من حيث الابتكار وروعة الخيال ، وما تحدثه من أثر فى نفوس سامعيها ، يقول عنها " ابن رشيق ":"الاستعارة أفضل المجاز .....

(١) كتاب الصناعتين-أبو هلال العسكرى-ص١٨٣- ت- محمد أبو الفضل ابراهيم-على البجاوى-المكتبة العصرية – بيروت- ١٩٨٦م

وليس فى الشعر أعجب منها ، وهى من محاسن الكلام إذ وقعت موقعها ، ونزلت موضعها"(١)

ويقول الإمام " عبد القاهر ":" اعلم أن الإستعارة .....أمد ميدانا ، وأشد افتنانا ،وأعجب حسنا وإحسانا ، .....، وأذهب نجدا فى الصنعة وغورا .....، ويوفر أنسا، وأهدى الى أن تهدى اليك عذارى ، وقد تخير لها الجمال ، وعنى بها الكمال"(٢)

ونظرا لمكانتها العالية فقد وضعوا لها تعريفات عدة ، لعل أتمها قول الإمام وهو:" أن يكون لفظ الأصل فى الوضع اللغوى معروفا ، تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر فى غير ذلك الأصل ، وينقله اليه نقلا غير لازم"(٣)

وبالنظر والتأمل فى الرائية نجد أن " عمر" قد استعان على تصوير أفكاره بكثير من أنواع الاستعارة ، فهناك الاستعارة التصريحية فى مثل قوله :

يمج ذكى المسك منها مقبل ∴ نقى الثنايا ذو غروب مؤشر

ففى قوله :" يمج ذكى المسك " ، استعارة تصريحية ، حيث شبه رائحة فمها وهو شىء ذهنى بالمسك ، وحذف المشبه وهو رائحة فمها ، وصرح بالمشبه به وهو المسك .

والاستعارة المكنية ، مثل قوله :

أخا سفر جواب أرض تقاذفت ∴ به فلوات فهو أشعث أغبر

ففى قوله :" تقاذفت به فلوات " استعارة مكنية ، حيث شبه الفلوات بالأشخاص الذين يتقاذفون الشىء ، وحذف المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو " القذف " ، وهذه صورة حسية بصرية فيها تشخيص للفلاة مما قوى المعنى وأكده ، وكان أبلغ فى التعبير عن كثرة ترحاله ، وكأن الفلوات تتقاذفه وتدفع كل منهن به إلى الأخرى .

---

(١) العمدة – ١– ١٨.
(٢) أسرار البلاغة–ت– محمد رشيد رضا –ص٣٢–مطبعة صبيح– السادسة ١٩٥٩م.
(٣) دلائل الإعجاز– ص ١٢.

وقوله :

فـــدل عليهـــا القلـــب ريـــا عرفتهـــا ∴ لهـــا وهـــوى الـــنفس الـــذى كـــاد يظهـــر

ففى قولـه :" فـدل عليهـا القلـب ريـا " اسـتعارة مكنيـة ، حيـث شـبه الرائحـة بالشخص الذى يدل آخر على منزل أو طريق ، وحذف المشبه به وهو الإنسان ورمز اليه بشىء من لوازمه وهو " الدلالة " وهى صورة ذهنية ، حيث شبه الرائحة وهى شىء ذهنى غير محسوس بشىء حسى .

وكذلك قوله :

فقلـت لهـا بـل قـادنى الشـوق والهـوى ∴ اليـك ومـا نفـس مـن النـاس تشـعر

ففى قوله :" قادنى الشوق : ، استعارة مكنية ، حيث شبه الشوق بالإنسان الذى يقود ، وغيرها من صور الاستعارة المنتشرة فى الرائية .

**رابعا- الكناية**

والكناية لون من ألوان الخيال ، ومظهر من مظاهر البلاغة ، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه ، وصفت قريحته .

عنى بها نقاد العرب ، وعرفوا لها مكانتها فى الإيضاح والتأثير ، ووضعوها فى مكانة أرفع من التصريح ، وعللوا ذلك بأن " الأديب فى الكناية يقرن دعواه بإثبات أمر من الأمور بما يجعل النفس ترتاح إلى إثباته ، وتطمئن إلى هذا الإثبات ، إذ كأنه يأتى ببرهان على دعواه"(١)

وقد وضحها الإمام " عبد القاهر " بقوله :" أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعانى فلا يذكره باللفظ الموضوع له فى اللغة ، ولكن يجىء الى معنى هو تاليه وردفه فى الوجود، فيومىء به إليه ويجعله دليلا عليه"(٢)

وقد استعمل " عمر " الأسلوب الكنائى فى كثير من أبيات الرائية ، نذكر منها الأبيات المتفرقة الآتية:

رأت رجـــلا أمـــا إذا الشـــمس عارضـــت ∴ فيضـــحى وأمـــا بالعشـــى فيخصـــر

(١) أسس النقد الأدبى عند العرب-د-أحمد بدوى- ص٥٢٩-دار نهضة مصر للطبع والنشر – دت

(٢) دلائل الإعجاز- ص١٠٥.

وقالــت :وعضــت بالبنــان فضــحتنى ∴ وأنــت امــرؤ ميســور أمــرك أعســر
فقامــت كئيبــا لــيس فــى وجههــا دم ∴ مــن الحــزن تــذرى عــبرة تتحــدر
ســوى أننــى قــد قلــت يــانعم قولــة ∴ لهــا والعتــاق الأرحبيــات تزجــر

**فقولـه :" يضـحى ويخصر " ، كنايـة عن متابعـة السير والترحـال فـى النهـار والليل ، وقولـه :" وعضت بالبنـان " ، كنايـة عن النـدم ووقوع المصيبة ، وقولـه :" ليس فى وجهها دم " ، كناية عن الخوف والقلق ، وقوله :" العتاق الأرحبيات تزجر " كناية عن الاستعداد والرحيل ، وغيرها من الصور التى زادت المعنى وضوحا ، وقد وفق الشاعر فى عرض هذه الصور وتوظيفها لخدمة الأغراض التى يقصدها ، والمعانى التى يريدها .**

# الإبداع الفنى والموسيقى الشعرية

والموسيقى عنصر مهم من عناصر الشعر له تأثيره فى النفس الإنسانية ، وذلك لأنها " تسبغ على الشعر جوا مشبعا بالفنون ، وبالأخص إذا جاءت أوزان القريض التى تنهض بهذه الألفاظ ملائمة للون العاطفى التى يحاول الشاعر بثها ، فكلما تم التجاوب بينها زادت فتونا ، وبدون الموسيقى يستحيل أن يكون الشعر شعرا ، وإن اقتران الألفاظ بالنظم فى شعر كافة الأمم لدليل فى ذاته على هذه المنزلة التى تحتلها الموسيقى"(١)

وهى النظام الذى يحقق للشعر أنغاما واضحة ومتناسقة ، وموسيقى الشعر ترجع أساسا الى الوزن والقافية ، إذ ينشأ عنهما وحدة النغم والإيقاع .

وموسيقى الشعر التى تنشأ عن الوزن والقافية يطلق عليها الموسيقى الخارجية ، تميزا لها عن " الموسيقى الداخلية " التى سنتحدث عنها بعد قليل – إن شاء الله تعالى– .

## أولا- الموسيقى الخارجية

وهى تمنح الشعر توازنا وتكرارا للنغم تألفه الأذن ، وتسر به النفس ، وتتمثل فى الوزن والقافية ، وحرف الروى .

### أولا – الوزن .

والوزن فى الشعر العربى هو " مجموع التفعيلات التى يتألف منها البيت ، وقد كان البيت هو الوحدة الموسيقية للقصيدة العربية"(٢)

وبالنظر فى القصيدة – التى بين أيدينا– نجد أن " عمر " كان موفقا فى اختياره " بحر الطويل " لينسج عليه قصيدته ، وهو بحر يلقى ظله – كما يقال– على ثلث الشعر القديم، ويشتمل على ثمان وعشرين مقطعا ، ومن المعروف أنه والبسيط من أطول البحور وأحفلها بالجلال والرصانة والعمق ،ويعطى امكانات للسرد والبسط والقصص والعرض الدرامى،ولهذا نجده يكثر فى أشعار السير والملاحم

(١) الشعر والفنون الجميلة– إبراهيم العريض – ص٢٢–دار المعارف – القاهرة – دت
(٢) النقد الأدبى الحديث– د– غنيمى هلال – ص٤٣٦.

واحتواء الأساطير ،"فيغلب على المنظوم منه الرصانة والمتانة وشدة الأسر ، وروعة السرد ،وصلابة الحوك"(١)

وهو أنسب البحور للقصص وذلك " لأن فى خفاء جرسه واعتداله ، وطول نفسه ، ما يعين على القصص ، وعنصر القصص والنعت فيه من الطراز الذى يدعو السامع أن يهتز ويرقص ، ويصغى ويتفهم "(٢)

وقصيدة " عمر بن أبى ربيعة " (على كثير من عبثها الا أنها جادة فى معظم أبياتها ، وذلك لأن " لعمر " مذاهب فى تصوير غرامه ، فتارة يورده على سبيل الملح والتظرف فيختار له البحور القصار ، وتارة يشيد به ويفخمه ويظهره مجرى الجليل من الأعمال ، وعندئذ يعمد الى الطويل ويتخذ له ما يلائمه من جزالة اللفظ ورصانته ، وهذا ما فعله فى الرائية) (٣)

**ثانيا القافية .**

أما القافية . فهى شريكة الوزن فى الاختصاص بالشعر ، ولا " يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية"(٤)، متحدة فى القصيدة كلها ، كما جرى عليها الفحول من شعراء العربية فى عصورها الذهبية الأولى قبل أن ينظم بعض الشعراء – فى العصور المتأخرة– شعرا تعددت قوافيه .

وبالعودة الى القافية فى الرائية ، نجد أنها قد اتسمت فى غالب الأمر بالتمكن فى موقعها ، ومعنى تمكنها " أن معنى البيت يتطلبها ، وأنها جاءت طيعة غير مغتصبة ولا مستكرهة لتكمل هذا المعنى ، وهى لذلك مرتبطة بما قبلها ارتباطا وثيقا ، وأن تكون عذبة سلسة المخرج ، لاتختم بما يدل على الرقة فى مقام القوة والفحولة ، والقافية المتمكنة فى البيت كالشىء الموعود به والمنتظر، يتشوفها المعنى ويتطلع اليها "(٥)

---

(١) الشعراء وإنشاد الشعر – على الجندى – ص١٠٢– دار المعارف– القاهرة –١٩٦٩م .
(٢) المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها – د– عبد الله الطيب– ١–٣٦٨– الدار السودانية– الخرطوم–١٩٧٠م
(٣) السابق–١–٣٩٤.
(٤) العمدة–١–١٥٤.
(٥) أسس النقد الأدبى عند العرب– د– أحمد بدوى – ص٣٤٦.

**ومن الأمثلة على ذلك قوله :**

الكنـــى إليهـــا بالســـلام فإنـــه ∴ يشـــهر إلمـــامى بهـــا وينكـــر

**فالقافية دعامة البيت دون أن تحول بينه وبين الارتباط بغيره ، فلا يتم معناه دونها ، ولا يستقيم التركيب إلا بها ، فلو قال :" يشهر إلمامى بها " لما استقام المعنى الذى أراده الشاعر وهو :" يخاطب رسوله إلى "نعم " فيقول :" سلم عليها وقل لها : إنى غير قادر على المسير اليها لأن خبرى سيذاع وينتشر " ، فكان لابد من الاتيان بلفظ " وينكر " ليكتمل المعنى ويتم دون زيادة .**

**وكذلك قوله:**

فبـــت رقيبـــا للرفـــاق علـــى شـــفا ∴ أحـــاذر مـــنهم مـــن يطـــوف وأنظـــر

**فالشاعر يراقب ويحذر أن يراه أحد ويحدق لأن الوقت ليل ، ولا بد أن يحد النظر ليتأكد من الغادى والرائح ، ولذلك جاءت القافية " أنظر " كالشىء الموعود به المنتظر ، ينتظرها المعنى الذى قصده الشاعر .**

**وإذا كان " عمر " قد وفق فى كثير من قوافيه ، وجاءت مواتية طيعة متصلة بالأفكار والخواطر فى الأبيات ومكملة لها ، فإنه قد وقع فى بعض المآخذ التى عدها النقاد من عيوب القافية .**

**ومنها " التضمين " وهو:" أن ينتهى البيت بكلمة لا تستقل بذاتها ، وإنما يكتمل معناها فى البيت التالى"[١]، ومن ذلك قوله :**

فبـــت رقيبـــا للرفـــاق علـــى شـــفا ∴ أحـــاذر مـــنهم مـــن يطـــوف وأنظـــر

الـــيهم متـــى يســـتمكن النـــوم مـــنهم ∴ ولى مجلـــس لـــولا اللبانـــة أوعـــر

**فقافية البيت الأول " أنظر " لا يتم معناها الا بالكلمة التى يبدأ بها البيت التالى " اليهم".**

**والقافية غنية رغم طول القصيدة ، ولقد تكررت إحداها بالمعنى نفسه ،وذلك فى قوله :**

---

(١) عروض الشعر العربى بين التقليد والتجديد–د–أمين عبد الله سالم–ص٢٧٥–مطبعة منجد الحديثة – القاهرة –١٩٨٥م

فبت رقيبا للرفاق على شفا ∴ أحاذر منهم من يطوف وأنظر

**وقوله :**

فقلت لها بل قادنى الشوق والهوى ∴ اليك وما عين من الناس تنظر

**وقوله:**

إذا جئت فامنح طرف عينك غيرنا ∴ لكى يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

**فقد تكررت القافية " تنظر " بالمعنى نفسه ، ولكن جاء ذلك بعد زمن غير يسير ، مما أبعده عن " الإيطاء " ، وهو جائز فى الشعر .**

**ثالثا – الروى.**

**أما الروى . فهو الحرف الذى يختاره الشاعر من الحروف الصالحة للروى فيبنى عليه قصيدته ملتزما إياه فى سائر ها ، واليه تنسب القصيدة ، فيقال : همزية إذا كان آخرها همزة ، ولا مية اذا كان آخرها لاما ، وسينية اذا كان آخرها سينا ، وهو أقل ما يمكن مراعاة تكراره فى القصيدة ، ولا يكون الشعر مقفى الا به.**

**وقد وفق " عمر " فى استخدام الراء المضمومة رويا للقصيدة ، لأن حرف الراء يدل على القلق والاضطراب ، ويتناسب مع الحالة النفسية للشاعر فى قصيدته ، فالجو الغالب على القصيدة هو : جو الإنسان القلق غير المستقر ، وأيضا المغامرة التى صاغها الشاعر فى قصيدته تدل على الحذر والقلق والتوتر .**

**ومن تمكن الشاعر وبلاغته أنه لم يعش جو المغامرة وحده ، وإنما أشرك معه القارىء والسامع وهو يتابع القصيدة ويتفاعل معها .**

**أما الضمة . فهى حركة تشعر بالأبهة والفخامة ، وهى بذلك مناسبة لطبيعة القصيدة الفخمة الجادة ، وبذلك جاء الروى مناسبا لغرض القصيدة وموضوعها ، وجاءت الموسيقى الخارجية من : وزن وقافية وروى ، مناسبة لغرض القصيدة والحالة الشعورية الغالبة عليها ، فوزن الطويل . مناسب ومطابق بما فيه من موسيقى خافتة تعين على القص والسرد ، ولا تشغل ذهن السامع بموسيقى مجلجلة ، كما جاءت الراء المضمومة مناسبة تماما للحالة الشعورية الغالبة على النص من قلق واضطراب مع مناسبتها لما فى القصيدة من فخامة ورصانة .**

**ثانيا- الموسيقى الداخلية .**

**والموسيقى الداخلية . هى التى تنبع من اختيار الشاعر للألفاظ ذات الوقع الخاص ، وتأليفها فى صورة صوتية معينة ، فتحس حين قراءته أن الشاعر يرجع نغما داخليا فى أعماق وجدانه.**

**والموسيقى الداخلية تختلف عن الموسيقى الخارجية ، فا لثانية تحكمها قوانين الوزن والقافية ، أما الأولى فتحكمها قيم صوتية أوسع من الوزن والنظم ، وهى تساير الموضوع وتزيده ثراء فى العاطفة ، وقوة فى التأثير ، فهى تمثل روح الشاعر وبراعته .**

**وهى تنبع من " مصدر مهم يكون مع الموسيقى الخارجية الشكل الموسيقى الذى هو جوهر الشعر ، هذا المصدر هو ألوان البديع الصوتى ، كالتكرار ، والجناس ، والتصريع ، ورد العجز على الصدر ، وحسن التقسيم ، والتنوين ، وغير ذلك من ألوان التآلف النغمى الذى يشكل الموسيقى الداخلية للشعر ، وهذه العناصر قد تجتمع كلها أو بعضها ، فيكون لحسن التأليف بينها أثر واضح فى حلاوة وقعه"(١)**

**أولا- التصريع**

**والتصريع هو:" ماكانت عروض البيت فيه تابعة لضربه ، تنقص بنقصه ، وتزيد بزيادته"(٢)**

**والتصريع فى حقيقته ليس الا ضربا من الموازنة والتعادل بين العروض والضرب، يتولد منها جرس موسيقى رخيم ، وهو لذلك من أسس الحلى البديعة بالشعر ، وأقربها اليه نسبا ، وأوثقها به صلة .**

**وقد وقع التصريع فى رائيتنا فى مطلع القصيدة حيث يقول " عمر ":**

**أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ∴ غداة غد أم رائح فمهجر**

---

(١) عناصر الإبداع الفنى فى رائية أبى فراس الحمدانى – د-محمد عارف محمود-ص٢٠٢- مطبعة الأمانة – القاهرة- الأولى-١٩٨٨م

(٢) العمدة- ابن رشيق-١-١٧٣-ت-محى الدين عبد الحميد-دار الجيل- بيروت- الخامسة- ١٩٨١م

فأتى بالتصريع فى أول بيت من القصيدة ليلفت القارىء ويجمع فكره ، فكأنه دقات المسرح الأولى ، بالإضافة الى إعطاء شحنة مضاعفة فى أول القصيدة .

وجاء التصريع طبعيا دون تكلف ، وقد أدى إلى تأكيد المعنى باستخدام كلمتى " مبكر ، ومهجر " ، بما فيهما من طباق يزيد المعنى تأكيدا ووضوحا .

**ثانيا- الجناس**

وهو نمط من أنماط الصنعة ، ولون من ألوان الموسيقى ، ينشأ من تكرار حروف بعينها مما يولد موسيقى داخل النص الشعرى .

وقد حظى لدى الأقدمين من علماء البلاغة بتعاريف شتى ، لعل أشهرها تعريف " أبى هلال العسكرى " حين حده بقوله :" أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل منهما صاحبتها فى تأليف حروفها ، ولكنهما تختلفان فى المعنى"(١)

وقد وقع الجناس فى الرائية فى كثير من أبياتها ، ومن الأمثلة على ذلك :

لحاجة نفس لم تقل فى جوابها ∴ فتبلغ عذرا والمقالة تعذر

فقد جانس بين كلمتى " عذرا ، وتعذر " ، وهو جناس ناقص .

وقوله :

وأخرى أتت من دون نعم ومثلها ∴ نهى ذا النهى لو يرعوى أو تفكر

فجانس بين كلمتى " نهى ، والنهى " وهو جناس ناقص .

وقوله :

وليلة ذى دوران جشمتنى السرى ∴ وقد يجشم الهول المحب المغرر

وقوله :

فأنت أبا الخطاب غير مدافع ∴ على أمير ما مكثت مؤمر

وقوله :

فقالت لأختيها أعينا على فتى ∴ أتى زائرا والأمر للأمر يقدر

وغيره من أنواع الجناس الذى جاء عفو الخاطر دون تكلف مما ساعد على زيادة الجرس الموسيقى داخل النص الشعرى .

---

(١) كتاب الصناعتين- ص٣٢١.

**ثالثاً- رد الأعجاز على الصدور**

**وهو "أن يكون أحد اللفظين المكررين أو أحد المتجانسين ،أو أحد الملحقين بالمتجانسين بطريق الاشتقاق ،أو أحد الملحقين بهما بطريق شبه الاشتقاق ، فى آخر البيت ، ويكون اللفظ الآخر المقابل فى صدر المصراع الأول من البيت وهو نصفه الأول ، أو يكون فى حشوه ، أو يكون فى آخره ، أو يكون ذلك الآخر فى صدر المصراع الثانى من البيت وهو نصفه الثانى"(١)، وفى ذلك تلوين موسيقى ، وترجيع نغمى . وقد جاء " رد العجز " فى الرائية فى مثل قوله :**

فيالك من ليل تقاصر طوله ∴ وما كان ليلى قبل ذلك يقصر

**وقوله :**

ويالك من ملهى هناك ومجلس ∴ لنا لم يكدره علينا مكدر

**ومن صور رد الأعجاز على الصدور التى وردت فى القصيدة ، أن يوافق ما فى البيت بعض ما ذكره فيه ، وذلك كقوله :**

وغاب قمير كنت أهوى غيوبه ∴ وروح رعيان ونوم سمر

**وقوله :**

وترنو بعينيها الى كما رنا ∴ الى ظبية وسط الخميلة جؤزر

**رابعاً- الترصيع**

**وهو السجع فى البيت الواحد ، وهو ضرب من الإيقاع الصوتى ، والانسجام الموسيقى ، ولا شك أنه يزيد الشعر موسيقى ، لأن الأصوات تتكرر فى البيت مضافة الى تكرار الوزن والقافية فتجعله شبيها بفاصلة موسيقية متعددة النغم .**

**والترصيع يكتسب جماله من ندرته ومن طواعيته ، فإذا كثر أو تكلفه الشاعر ثقل ، لأن الإسراف فى التجانس قبيح فى الموسيقى والشعر . ولذلك كان " قدامة بن جعفر " على حق فى قوله :" إن الترصيع يحسن إذا اتفق له فى البيت موضع يليق به ، وأنه معيب إذا تواتر واتصل فى الأبيات لأنه دال على التكلف والتعمد"(٢)**

**ومن أمثلة الترصيع فى الرائية قوله :**

---

(١) معجم البلاغة العربية – د- بدوى طبانة – ص٢٤٣-٢٤٤.
(٢) نقد الشعر – ت- كمال مصطفى-ص٢٨- مكتبة الخانجى – الأولى – ١٩٤٨م

فأقبلتـــا فارتاعتـــا ثـــم قالتـــا ∴ أقلـــى عليـــك اللـــوم فالخطـــب أيســـر

**وقوله :**

وقلـــن أهـــذا دأبـــك الـــدهر ســـادرا ∴ أمـــا تســـتحى أو ترعـــوى أو تفكـــر

**وقوله :**

فســـافت ومـــا عافـــت ومـــا رد شـــربها ∴ عـــن الـــرى مطـــروق مـــن المـــاء أكـــدر

**خامساً حسن التقسيم**

**والتقسيم عند البلاغيين من "البديع المعنوى وهو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل على التعيين"(١)**

**وهو لون من ألوان الصنعة الفنية ، ينشأ من الجمل المتساوية ، والأقسام المحددة ، وما فيها من توازن وسجع غالبا ، محدثا تناسقا صوتيا بديعا .**

**ومن الأمثلة على ذلك من الرائية قوله:**

أخـــا ســـفر جـــواب أرض تقاذفـــت ∴ بـــه فلـــوات فهـــو أشـــعث أغـــبر

**وقوله :**

وغـــاب قمـــير كنـــت أهـــوى غيوبـــه ∴ وروح رعيـــــان ونـــــوم سمـــــر

**وقوله:**

تهـــيم الى نعـــم فـــلا الشـــمل جـــامع ∴ ولا الحبـــل موصـــول ولا أنـــت مقصـــر

ولا قـــرب نعـــم إن دنـــت لـــك نـــافع ∴ ولا نأيهـــا يســـلى ولا أنـــت تصـــبر

(١) معجم البلاغة العربية –د– بدوى طبانة– ص٥٣٩.

# المبحث الرابع

# العنصر القصصى فى الرائية

# فجر القصة الشعرية

لا نستطيع أن نزعم أن القصة الشعرية بخصائصها الفنية المعروفة قد توافرت لدى شعراء الجاهلية ، ولكننا نقول : إن المنحى القصصى كان معروفا عند هؤلاء الشعراء، فقد نحا هذا المنحى "النابغة الذبيانى، وامرؤ القيس، ولبيد، وكثير من شعراء الصعاليك "وغيرهم .

وربما كانت الحقبة التاريخية التى عاشوا فيها وما صحبها من علاقات اجتماعية أقرب إلى النمطية والثبات كانت غير قادرة على مد القصة بحركة التطور ، فى حين نجد أن الأمر قد اختلف لدى شعراء بنى أمية – على نحو ماسنرى فى هذه القصيدة إن شاء– الله تعالى– .

ومن أهم القصص الشعرية التى شاعت فى العصر الجاهلى " القصص الغزلية " ، وكانت على نوعين .

الأول – " الغزل العفيف " . وقد تمثل فى شعر " عنترة " ، فكان لا يذكر ابتسامة " عبلة " الا فى ساحة الوغى ، حين تلمع السيوف ،وتطعن الرماح ، فكانت ترتوى من دمه .

الثانى – " الغزل الماجن " . وقد برع فى سردها الملك الضليل أمير شعراء العصر الجاهلى " امرؤ القيس " ، فكان يعرف كيف يصل خدرها وفى الخارج فرسان شداد يحرسونها ويطلبون دمه ، ولكنه يأخذها بمكر وحيلة ليصل الى ساحة الحى ، واصفا تلك الحبيبة بوصف جسدى فى غاية الروعة الأدبية ، حاويا لكل عناصر القصة الشعرية ، من مثل قوله :

وبيضة خدر لايرام خباؤها ∴ تمتعت من لهو بها غير معجل
تجاوزت أحراسا اليها ومعشرا ∴ على حراصا لو يسرون مقتلى
إذا ما الثريا فى السماء تعرضت ∴ تعرض أثناء الوشاح المفصل
فجئت وقد نضت لنوم ثيابها ∴ لدى الستر الا لبسة المتفضل
فقالت يمين الله مالك حيلة ∴ وما إن ارى عنك الغواية تنجلى
خرجت بها أمشى تجر وراءنا ∴ على أثرينا ذيل مرط مرحل

فلمـا أجزنـا سـاحة الحـى وانتحـى ∴ بنـا بطـن خفـت ذى حقـاف عقنقـل[١]

**ونلمح فى هذه الأبيات عناصر القصة وأركانها وذلك على النحو الآتى :**

**فقد أشار الى مكان وقوع الحدث وهو : قبيلتها والحراس الشداد يحرسونها ، ثم عين زمان وقوع الحدث وهو : وقت الليل عند صعود نجم الثريا فى السماء وهو نفسه وقت نومها ، فدار الحوار بينهما كركن ثالث من أركان القصة ، ونلمح ذلك فى قوله :" فجئت ، وقالت ...." ، ثم اختصر القصة ليخبرنا أنه أخذها وخرج الى حيث جاز ساحة الحى وهى تعفى أثرهما بذيل ثوبها لكى لا يتبعهما أحد .**

**ونلمح أيضا كثيرا من مقومات القصة الشعرية فى قصة غرام " عروة بن حزام العذرى " ت ٣٠هـ=٦٥٠م " ، فقد أحب ابنة عمه " عفراء " ، فقد تولد الحب من نشأتهما معا ، ثم حالت عوارض دون الزواج ، وقد فرقت بينهما أمها لفقره ، وزوجتها من أحد الأغنياء فى غيبة " عروة " فى أرض اليمن .**

**وعند عودته وجد عليها وجدا شديدا ، وحاول الوصول إليها ولقاءها ، وتم اللقاء كأظهر مايكون لقاء بين العاشقين ، ولكن لا سبيل الى اجتماع الشمل ، ويصاب العاشق بنوع من الخبل يفشل العرافون فى علاجه ، يقول "عروة" :**

خليلـى مـن عليـا " هـلال بـن عـامر ∴ بصـنعاء عوجـا اليـوم وانتظرانـى
ولا تزهـدا فـى الزخـر عنـدى وأجمـلا ∴ فإنكمـا بـى اليـوم مبتليـانى
ألمـا علـى عفـراء إنكمـا غـدا ∴ بوشـك النـوى والـبين معترفـان
فياواشـى عفـراء ويحكمـا بمـن ∴ ومـا والى مـن جئتمـا تشـيانى
بمـن لـو أراه عانيـا لفديتـه ∴ ومـن لـو رآنـى عانيـا لفدانـى
متـى تكشـفا عنـى القمـيص تبينـا ∴ بـى الضـر مـن عفـراء يافتيـانى
إذن تريـا لحمـا قلـيلا وأعظمـا ∴ بلـين وقلبـا دائـم الخفقـان
وقـد تركتنـى لا أعـى لمحـدث ∴ حـديثا وإن ناجيتـه ونجـانى
جعلـت لعـراف اليمامـة حكمـه ∴ وعـراف حجـر إن همـا شـفيانى
فمـا تركـا مـن حيلـة يعرفانهـا ∴ ولا شـربة الا وقـد سقيانـى

(١) الديوان–ص١٧٠

ورشا على وجهى من الماء ساعة ∴ وقامت مع العواد يبتدرانى
وقالا شفاك الله والله مالنا ∴ بما ضمنت منك الضلوع يدان
فويلى على عفراء ويلا كأنه ∴ على الصدر والأحشاء حد سنان
أحب ابنة العذرى حبا وإن نأت ∴ ودانيت فيها غير ما متدان[١]

**وتبقى ميمية الشاعر المخضرم " الحطيئة " " جرول بن أوس " ت نحو ٥٥هـ ، أدل ما قيل فى هذا المقام موضوعيا وفنيا ، فهى قصة شعرية بكل عناصرها ، يقول فيها :**

وطاوى ثلاث عاصب البطن مرمل ∴ ببيداء لم يعرف بها ساكن رسما[٢]
أخى جفوة فيه من الأنس وحشة ∴ يرى البؤس فيها من شراسته نعمى[٣]
تفرد فى شعب عجوزا إزاءها ∴ ثلاثة أشباح تخالهم بهما[٤]
حفاة عراة ما اغتدوا خبز ملة ∴ ولا عرفوا للبر مذ خلقوا طعما [٥]
رأى شبحا وسط الظلام فراعه ∴ فلما بدا ضيفا تشمر واهتما
فقال هيا رباه ضيف ولا قرى ∴ بحقك لا تحرمه تا الليلة اللحما
وقال ابنه لما رآه بحيرة ∴ أيا أبت اذبحنى ويسر له طعما
ولا تعتذر بالعدم عل الذى طرا ∴ يظن لنا مالا فيوسعنا ذما[٦]
فروى قليلا ثم أحجم برهة ∴ وإن هو لم يذبح فتاه فقد هما[٧]
فبينما هم عنت على البعد عانة ∴ قد انتظمت من خلف مسحلها نظما[٨]

---

(١) كتاب الأغانى–أبو الفرج الأصفهانى–٢٣–١٥٧.
(٢) الطاوى– الجائع ، ثلاث–أى ثلاث ليال، عاصب البطن، الذى يتعصب بالخرق ويشدها على بطنه من الجوع، مرمل ، محتاج ، الرسم ، ما بقى من الأرض من آثار الديار .
(٣) الجفوة ، غلظ الطبع ، والأنس ، ألفة البيوت وهو ضد الوحشة أى النفور .
(٤) تفرد ، اعتزل الناس ، والشعب ، الطريق فى الجبل ، البهم ، ولد الضأن والماعز شبههم بهم لهزالهم .
(٥) الملة، الرماد والحار ، والبر ، القمح .
(٦) العدم ، الفقر ، طرا ، أصلها طرأ : أى الذى نزل بنا .
(٧) روى ، فكر ، أحجم ، امتنع ، هم ، كاد يذبحه.
(٨) عنت، عرضت، العانة،الآتان، والمسحل ، الحمار الوحشى ،التنظامها ، انضمامها وقربهامنه.

ظمـــاء تريـــد المـــاء فانســـاب نحوهـــا ∴ علـــى أنـــه منهـــا الى دمهـــا أظمـــا
فأمهلـــها حتـــى تـــروت عطاشهـــا ∴ فأرســـل فيهـــا مـــن كنانتـــه ســـهما[١]
فخـــرت نحـــوص ذات جحـــش فتيـــة ∴ قـــد اكتنـــزت لحمـــا وقـــد طبقـــت شـــحما[٢]
فيـــا بشـــره إذ جرهـــا نحـــو أهلـــه ∴ ويـــا بشـــرهم لمـــا رأوا كلمهـــا يـــدمى[٣]
فبـــاتوا كرامـــا قـــد قضـــوا حـــق ضـــيفهم ∴ فلـــم يغرمـــوا غرمـــا وقـــد غنمـــوا غنمـــا
وبـــات أبـــوهم مـــن بشاشـــته أبـــا ∴ لضـــيفهم والأم مـــن بشـــرها أمـــا[٤]

**والنص فى مجمله قصة شعرية قصيرة ، احتوت العناصر الدرامية بكل أبعادها ، مبرزة عاطفة الألم التى ملأت قلب الشاعر وسيطرت على مشاعره فى تسلسل للأفكار والمعانى ، مما حقق أركان القصة التى تمثلت فى الآتى:**

**المكان وهو الصحراء ، والزمان . وهو زمان عاش فيه " الحطيئة" ، وقد استطاع الشاعر أن يحرك شخوصه بفنية عالية وهم: الأب، والأبناء، والضيف، وفى الحدث. نرى امرأة فقيرة تعيش فى الصحراء مع أطفالها بدون طعام وماء ، ويتنامى الحدث وتتوالى حركات الخوف والقلق والاضطراب عند الشخوص ، وتتأزم العقدة عندما يرى الأب ضيفا قادما ولا طعام لديه ، وتصل ذروة التأزم فى عرض الابن على أبيه ذبحه ، فيزداد الصراع النفسى الداخلى عند الأب من خلال الحيرة والقلق ، وتبدأ العقدة فى الحل عندما يظهر قطيع من الحمر الوحشية قرب العين لشرب الماء ، فيصطاد واحدة ويسوقها الى أهله ليقدموها طعاما للضيف ، وهكذا تمتلىء نفوسهم بالسرور .**

**وبذلك اكتملت عناصر القصة التى رسمها " الحطيئة" ببراعة واتقان ، وبأبيات قليلة مقتصرا على الأحداث الضرورية .**

---

(١) تروت ، أى ارتوت ، والكنانة ، جعبة السهام التى توضع فيها .
(٢) خرت، سقطت ، والنحوص ، الآتان الوحشية، فتية، سمينة، اكتنزت، امتلأت حتى عمها الشحم.
(٣) فيا بشره، فما أعظم سروره، كلمها ، جرحها ، يدمى ، يسيل دمه .
(٤) ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكرى والسجستانى-ت-نعمان طه-ص٣٩٦-مصطفى مصطفى الحلبى-الأولى- ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م.

ولقد درس كثير من الباحثين هذه القصة ، وأعطوها حقها ، يقول " على ناصف " :" وما أريد أن أبخس " الحطيئة " حقه أو انتقص براعة قصته هذه فى تنسيق الأحداث، وتساوق الصوروووضوح التعبير عنها فى صياغة مصقولة ، و لفظ صائغ مختار ، يغلب الإلف عليه ، و يقل الغريب فيه"(١) و يتابع " ناصف " فنراه يستغرب من "الحطيئة" الذميم البخيل كيف يتشبه بأصحاب الجود والسخاء، و هو المهين الأصل المطعون النسب .

و فى عصر صدر الإسلام رسم الشعراء صورة و اضحة لانطلاق الإسلام إلى الجهاد ، و وصف بلائهم فى الغزوات ، و كان من الطبعى أن يظهرفى هذا الشعر شيئا من القصص، ولا سيما أنه يروى وينقل للبلاد رسائل تحمل أحداثا جرت فى الغربة ، و فى ساحات الوغى ، فيطلع المسلمون فى جزيرة العرب على " تلك الأقاصيص الممتزجة بغبار الوقائع ، و صهيل الخيل ،وصليل السيوف ، وصياح المحاربين ، و إذا بهذه الروايات تنتشر فى ربوع الديار العربية ، لتشغل كل اهتمامات المسلمين ، و لتصبح زادا لسمرهم ، ما يزالون يقصونها، ويزخرفونها ، و يعجبون بها "(٢).

و لم تكن ذكريات الدار و الشوق للأهل و تذكرهم أقل شيوعا فى شعر الفتوحات الإسلامية ، فهذا "النابغة الجعدى "،يقص علينا و هو فى جيش الفتح قصته مع زوجته قائلا :

باتت تذكرنى بالله قاعدة ∴ والدمع ينهل من شأنيهما سبلا
يا ابنة عمى كتاب الله أخرجنى ∴ كرها ، و هل أمنعن الله ما فعلا
فإن رجعت فرب الناس يرجعنى ∴ وإن لحقت بربى فابتغى بدلا
ما كنت أعرج أو أعمى فيعذرنى ∴ أو ضارعا من ضنى لم يستطع حولا(٣)

(١) القصة فى الشعر العربى الى أوائل القرن الثانى الهجرى–ص٢٢–دار النهضة المصرية – القاهرة.
(٢) شعر الفتوح الإسلامية فى صدر الإسلام –د– النعمان القاضى–ص١٢–الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة– ١٩٦٥م
(٣) الشعر والشعراء – ابن قتيبة –١–٢٩٣.

والقصة وإن كانت حدثت قبل خروج "النابغة" للجهاد، ولكنه يرويها و هو فى ساحات الوغى ، أو و هو يستعد للمعركة ، فيظهر الجو العام للأقصوصة . إنها جلسة صفاء مع الزوجة و فيها استعداد و تأهب للخروج فى الغد مع جيش الفتح ، و زمن الأقصوصة و هو ساعة من الليل يدل عليها قول الشاعر : " باتت تذكرنى " ، و الشاعر بذلك يضع أول لبنة فى بناء القصة القصيرة .

و يدور الحوار بين الزوجين : فالزوجة تبكى " تذكرنى " ، و الزوج يقول : "يا ابنة عمى"، ولا تعجز هذه الأيات الأربعة عن وصف الشخصيتين الرئيسيتين وصفا دقيقا، فالزوجة "قاعدة و الدمع ينهل من عينيها" شأنيها سبلا".

و الزوج ليس بأعرج و لا أعمى فهو صحيح الجسم قوى البنية ، و بينت القصة الملامح النفسية لكلتا الشخصيتين ، فالزوجة بحسها الأنثوى ربما لا ترى ضرورة لخروج زوجها ، و بإيمانها لا تمانع. و كذلك الزوج الذى يسيطر عليه التردد بين البقاء إلى جانب المرأة الضعيفة ، أو الخروج إلى ما أمره الله به من جهاد ، لكنه فى النهاية يحزم الأمر مقنعا زوجته بالخروج .

و شاعت القصة الشعرية فى العصر الأموى ، فلم تقتصر على " عمربن أبى ربيعة " وحده ، بل كانت موجودة عند غيره من شعراء عصره ، " فوضاح اليمن "المتوفى سنة ٩٠ هـ، له فى " روضة " أشعار كثيرة تحكى قصصا شعرية مكتملة الأركان ، من مثل قوله :

يـــا روض جيرانكـــم البـــاكر ∴ فالقلـــــب لالاه و لا صابـــــر
قالـــت : ألا لا تلجـــن دارنـــا ∴ إن أبانـــا رجـــل غائـــر
قلـــت : فـــإنى طالـــب غـــرة ∴ منـــه و ســـيفى صـــارم باتـــر
قالـــت : فـــإن القصـــر مـــن دوننـــا ∴ قلـــت : فـــإنى فوقـــه ظاهـــر
قالـــت : فـــإن البحـــر مـــن دوننـــا ∴ قلـــت : فـــإنى ســـابح ماهـــر
قالـــت : فحـــولى أخـــوة ســـبعة ∴ قلـــت : فـــإنى غالـــب قاهـــر
قالـــت : فليـــث رابـــض بيننـــا ∴ قلـــت : فـــإنى أســـد عاقـــر
قالـــت : فـــإن الله مـــن فوقنـــا ∴ قلـــت : فربـــى راحـــم غافـــر

قالـــت : لقـــد أعييتنـــا حجـــة ∴ فـــأت إذا مـــا هجـــع السامـــــر
فاســـقط علينـــا كســـقوط النـــدى ∴ ليلـــــة لائـــــاه و لا زاجـــــر[1]

**و " العرجى " " عبد الله بن عامر " المتوفى نحو سنة ١٢٠ هـ = سنة ٧٣٨ م . يحكى قصة طويلة عن مجموعة من النساء بعثن إليه رسولا ليحضره إليهن ، فذهب على حذر خوفا من الرقيب ، فلما اطمأن جلس بالقرب من الباب صامتا و هن ينظرن إليه فى شغف ، ثم ابتدرته إحداهن .**

قالـت : كلابـة : مـن هـذا ؟ فقلـت لهـا ∴ أنـــا الـــذى مـــن أعدائـــه زعمـــوا
أنـــا امـــرؤ جـــد بـــى حـــب فأمرضـــنى ∴ حتـــى بليـــت و حتـــى شـــفنى سقمـــوا
لا تكلينـــــى إلى قـــــوم لوانهـــــم ∴ مـــن بغضـــنا أطعمـــوا لحمـــى إذا طعمـــوا
وأنعمـــى نعمـــة تجـــزى بأحســـنها ∴ فطالمـــا مســـنى مـــن أهلـــك النعـــم
ســـتر المحـــبين فـــى الـــدنيا لعلـــهم ∴ أن يحـــدثوا توبـــة فيهـــا إذا أثمـــوا
هـــذى يمينـــى رهـــن بالوفـــاء لكـــم ∴ فارضـــى بهـــا و لأنـــف الكاشـح الرغـــم
قالـت : رضـيت و لكـن جئـت فـى قمـر ∴ هـــلا تلبثـــت حتـــى تـــدخل الظلـــم
فبـــت أســـقى بـــأكواس أعـــل بهـــا ∴ مـــن بـــارد طـــاب منهـــا الطعـــم و النســـم
حتـــى بـــدا ســـاطع للفجـــر تحســـبه ∴ ســـنى حريـــق بليـــل حيـــن يضطـــرم
إذا أردن كلامـــى عنـــده اعترضـــت ∴ مـــن دونـــه عبـــرات فـــانثنى الكلـــم
تكـــاد إذا رمـــن نهضـــا للقيـــام معـــى ∴ أعجـــازهن مـــن الأنصـــاف تنقصـــم[2] .

**ونجد مقومات القصة نفسها تتكرر فى عشق " قيس بن الملوح " توفى سنة ٦٨ هـ = سنة ٦٨٨ م "لليلى العامرية "، و عشق " الصمة القشيرى " توفى سنة ٩٥ هـ = سنة ٧١٤ م لابنة عمه ريا ،و عشق " قيس بن ذريح " للبنى الخزاعية" .**

(١) الديوان– جمعه وقدم له وشرحه –د– محمد خير البقاعى ص٤٦– دار صـادر –بيـروت– الأولى –١٩٩٦م.
(٢) الأغانى –١–٣٨٩.

و هكذا نجد أنه : لم يكن " عمر بن أبى ربيعة " وحده الذى يكتب شعره فى صورة قصصية يحكى فيها مغامرته العاطفية الفاتكة و ما يتخللها من حوار بينه وبين حبائبه ، بل كانت هذه النزعة القصصية موجودة عند غيره من شعراء عصره و ما قبله من عصور ، لكن " عمر بن أبى ربيعة " استطاع أن يطور تلك الملامح القصصية فى شعره ، و يجعل منها عناصر حقيقية تقوم عليها قصته الشعرية ، و يضمنها شعره القصصى إذ " توسع فى هذا الشعرالقصصى و تفنن و فصل فى وقائع قصصه ، و جعل لها مقدمات و خواتم ، و لم يهمل أن يضع لها عقدا يحلها طبقا لظروف الحادثة التى يقص خبرها"[١].حتى أضحى جل شعره يتميز بالأسلوب القصصى ، وأن تشابه فى أغلبه من حيث الحوادث التى كان ينقلها ، سواء وقعت له أو افتعلها ، لاسيما

تشابه فى أغلبه من حيث الحوادث التى كان ينقلها ، سواء وقعت له أو افتعلها لاسيما فى أيام الحج و ليالى المغامرات التى ينظمها قصصا شعرية محكمة الحبك دون افتعال أو تكلف ، ساردا الأحداث بما فيها، مبينا زمانها و مكانها ، و الشخصيات التى قامت بها .

(١) حب عمر بن أبى ربيعة وشعره- جبرائيل جبور-٣-٤٤٢-دار العلم للملايين-الأولى-١٩٧١م.

# العناصر القصصية فى الرائية

إن القصيدة قصة شعرية متكاملة الأجزاء ، يستعيد الشاعر فيها ذكرى ليلة قضاها لدى " نعم " ، وتحمل فى سبيلها الأهوال ، ويروى لنا حكاية الزيارة على النحو الآتى :

-١-

دارت القصة فى منازل قبيلة " نعم " فى مكان يسمى "ذى دوران " وخباء " نعم " .

وليلة ذى دوران جشمتنى السرى ∴ وقد يجشم الهول المحب المغرر

وبت أناجى النفس أين خباؤها ∴ وكيف لما آتى من الأمر مصدر

وهو مكان محدود نسبيا ، استطاع الشاعر أن يصور فيه الأحداث ، ويرتبها ترتيبا غير متشعب ، ويراعى كل ظروف البيئة من عادات وتقاليد وسلوك الأفراد الذين يقطنونها، إنها الصحراء التى جعلت الشخصية الرئيسة ذات رأس أشعث ، وذهبت الهاجرة والبرد فيها بلحمه وشحم ناقته .

-٢-

أما دراسة الزمان فى الرائية . فتبين لنا أنه فى إطار محدد تحكمه قوانين الزمن الصارمة، وتسلسل الحوادث فيه تبعا لوجودها الزمنى من نقطة البداية الى نهاية القصة، وهذا ما يضفى عليه سمة الواقعية .

ومن خلال أبيات الرائية نلحظ ورود ما يدل على الزمن مثل :" يوم ، غداة ، سرى الليل ، العهد ، ليلة ذى دوران ، ليل العشاء ، موعد ، الصبح ، الدهر ، الليل مقمر ، بالعشى ، الصيف ، من الليل " ، وإذا أضفنا الى هذه الأسماء ما فيه دلالة واضحة على الزمن ، كبعض الأفعال والصور مثل :" باتت قلوصى ، فبت قرير العين ،إيقاظهم ، حين أعرضت ، هبوب ، الشمس عارضت ، يضحى ، تسهر ، روح رعيان ، غاب ، أطفئت مصابيح " ، نلحظ طغيان عنصر الزمن على هذه المغامرة وبروزه كعنصر مهم، بل الأهم فى هذه الحكاية القصصية .

-٣-

"والأشخاص فى القصة مدار المعانى الإنسانية ، ومحور الأفكار والأراء العامة ، ولهذه الأفكار والمعانى المكانة الأولى ، إذ لايسوق القاص أفكاره وقضاياه العامة منفصلة عن محيطها الحيوى، بل ممثلة فى الأشخاص الذين يعيشون فى مجتمع ما ، وإلا كانت مجرد دعاية ، و فقدت بذلك أثرها الاجتماعى و قيمتها الفنية معا "(١).

أما الأشخاص فى الرائية فتتمثل فى شخوص رئيسة " كعمر " و" نعم " ، وشخوص مساعدة "كأختيها ، و القبيلة عامة ، إذ هم أعداء " عمر " و موضع خشيته ، و خوف " نعم " و الخطر عليهما .

و يتضح جوهر شخصية " عمر " من خلال قوله :

لحاجة نفس لم تقل فى جوابها ∴ فتبلغ عذرا و المقالة تعذر
أهيم إلى " نعم " فلا الشمل جامع ∴ و لا الحبل موصول و لا القلب مقصر
ولا قرب " نعم" إن دنت لك نافع ∴ و لا نأيها يسلى و لا أنت تصبر
و أخرى أتت من دون " نعم " و مثلها ∴ نهى ذا النهى لو ترعوى أوتفكر

فهو غاضب لأن " نعما " لم تحقق الحاجة التى فى نفسه ، و لكن غضبه منصب على نفسه أكثر ما هو على " نعم " ، فهو فى صراع دائم مع هذه الرغبة المتأصلة فى نفسه ( حبه للنساء ) ، و فشله فى التغلب عليها .

و عجيب من رجل فى مثل ذكائه و خبرته أن يعيش مثل هذه الحياة المملوءة بالخطر التى . رغم ذلك . لا تنيله ما يريد ، فلا الشمل يجمعه بمن يحب ، ولا اللقاء ميسور من حين لآخر، و لا القرب نافعه لأن الفراق يعقبه مخلفا ألما و عذابا ، و لا البعد . خلال هذا الفراق . ينسيه من يحب .

و ليست هذه المرة الأولى التى يقاسى فيها مثل هذه المشاعر ، فقد مر بأشباهها مع نساء أخريات قبل " نعم " " آه لو يرعوى أو يفكر " .

(١) النقد الأدبى الحديث ــ د / محمد غنيمى هلال ــ ص٣٦٢

"فعمر"يعانى صراعا داخليا بين رغبته الشديدة للقاء "نعم"، و كرامته التى أهينت و رفضها إلى أن تجيب عليه .

لذا افتتح القصيدة بعزمه على أن يرحل من مضارب "آل نعم " .

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ∴ غداة غد أم رائح فمهجر

و منشأ هذا الصراع هو : أن حياته تدور فى فلك النساء اللواتى بادلنه إعجابا بإعجاب ، و سعيا بسعى ، و لكن علاقته بالنساء تسبب له قلقا و ألما و معاناة .

فلا هو قادر على أن يسلاهن ، أو يصبر على فراقهن ، و هو غير قادر على الاستمتاع باللقاء . إن تحقق . لأنه موقوت يليه فراق ممض .

و يحاول " عمر " أن يضع حدا لهذا الصراع ، فيدخل مع نفسه فى حوار فإذا كانت علاقاته السابقة مع نساء من قبل " نعم " قد أورثته هما و عانى من القرب كما عانى من البعد ، فلماذا يلقى بنفسه فى علاقة جديدة مع " نعم " ؟

أليس الأولى به . و هو المجرب الذى قد خبر الأمور . أن يقلع عن هذا المسلك أو على أقل تقدير أن ينعم فيه النظر ؟ .

أما "نعم" فهى نموذج للمرأة المترفة فى بلاد الحجاز ، واثقة من نفسها ، تعرف كيف تدير الحديث، يأتى " عمر " إلى خبائها ليلا فلا تمنعه و تقضى الليل معه ، و تباهى بأنها ستحدث أختيها بما كان تيها و فخرا .

" فعمر " . و هو من هو . سعى إليها و رغب فى قربها ، و هذه الحادثة توضح جانبا من نفسية المرأة فى أى مكان ، فليس بعض النساء يشبهن " نعم " فقط ؛ بل فى داخل كل امرأة جزء من " نعم " .

بآية ما قالت غداة لقيتها ∴ بمدفع أكنان : أهذا المشهر ؟

قفى فانظرى أسماء هل تعرفينه ∴ أهذا المغيرى الذى كان يذكر

أهذا الذى أطريت نعتا فلم أكن ∴ وعيشك أنساه إلى يوم أقبر

فقالت "نعم" : لا شك غير لونه ∴ سرى الليل يحيى نصه و التهجر

لئن كان إياه لقد حال بعدنا ∴ عن العهد و الإنسان قد يتغير

وأعجبهـــا مـــن عيشـــها ظـــل غرفـــة ∴ و ريـــان ملتـــف الحـــدائق أخضـــــر
و وال كفاهـــا كـــل شـــيء يهمهـــا ∴ فليســـت لشـــيء آخـــر الليـــل تسهـــــر

**كذلك قدم لنا "عمر " بقية الشخصيات فى أبيات قلائل ، فقريب " نعم " كاره " لعمر " يعز عليه أن يزور " نعما " و يتنمر له كلما وجده فى الحى ، و يؤلب عليه و يشهر به .**

إذا زرت " نعمـــا " لم يـــزل ذو قرابـــة ∴ لهـــا كلمـــا لاقيتـــــه يتنمـــــر
عزيـــــز عليـــــه أن ألم ببيتـــــها ∴ يســـر لى الشـــحناء و الـــبغض مظهـــر
ألكنـــى إليهـــا بالســـلام فإنـــــه ∴ يشـــهر إلمامـــــى بهـــا و ينكـــــر

**و"أسماء" صاحبة " نعم" كانت على علاقة بـ"عمر" قبل أن تعرف " نعما " ، يقول " عمر " عنها :**

قفـى فـانظرى " أسمـاء " هـل تعرفينـه ∴ أهـــذا المغـــيرى الـــذى كـــان يـــذكر ؟
..... ∴ .....
قليـــل علـــى ظهـــر المطيـــة ظلـــه ∴ ســـوى مـــانفى عنـــه الـــرداء المحـــبر

**وكذلك أختا " نعم " قدمتا فى أبيات قلائل ، وهما" كنعم " مترفهتان ، فى صباهما البكر، ضعيفتان تجاه الحب ، ولكنهما أكثر خبرة من " نعم " فعندما تلجأ اليهن للخروج من أزمتها تجد عندهما الحل وهو :**

أقـــص علـــى أختـــى بـــدء حـــديثنا ∴ ومـــالى مـــن أن تعلمـــا متأخـــــر
..... ∴ .....
فقامـــت اليهـــا حرتـــان عليهمـــا ∴ كســـاءان مـــن خـــز دمقـــس وأخضـــر
فقالـــت لأختيهـــا أعينـــا علـــى فتـــى ∴ أتـــى زائـــرا والأمـــر للأمـــر يقـــدر
فأقبلتـــا ،فارتاعتـــا ، ثـــم قالتـــا ∴ أقلـــى عليـــك اللـــوم فالخطـــب أيســـر
يقـــوم فيمشـــى بيننـــا متنكـــرا ∴ فـــلا ســـرنا يفشـــو ولا هـــو يظهـــر

**ومن الشخصيات الثانوية فى الرائية " أفراد القبيلة" وقد أشار اليهم فى أبيات متناثرة داخل القصيدة من مثل قوله :**

فبـــت رقيبـــا للرفـــاق علـــى شـــفا ∴ أحـــاذر مـــنهم مـــن يطـــوف وأنظـــر

وغـــاب قمـــير كنـــت أهـــوى غيوبـــه ∴ وروح رعيـــــان ونـــــوم سمـــــــر
فمـــا راعنـــى الا منـــاد ترحلـــوا ∴ وقـــد لاح معـــروف مـــن الصـــبح أشـــقر

-٤-

أما الحوار فى الرائية . فقد استطاع "عمر " أن يجعله وسيلة التعبير عن الشخصيات تارة ، وآلة لحمل الأحداث تارة أخرى ، مما ساعد قصيدته القصصية أن تنمو وتتألق ، فتنقل القارىء إلى مايجرى داخل كل شخصية من شخصياتها ، وما تهمس به وما يعتمل بها من مشاعر وأفكار،دون أن تتحول هذه القصيدة إلى ما يعرف بالشعر المسرحى الذى يرى فيه النقاد أن الحركة تتقدم مع الحدث من خلال الحوار.

ومن الجدير بالذكر. أن " عمر " تأثر فى حواره " بامرىء القيس " الذى يرجع اليه فضل إيجاد فن القصص الغزلى فى الشعر العربى ، لكن شاعرنا توسع فى حواره وتفنن فيه ، فظهرت قصائده القصصية مستندة على بناء قصصى من أوسع دعائمه الحوار .

ومما يحسب له – أيضا– أنه طوره وصوب هذا التطوير نحو الجوهر ، فنراه يضمن الحوار فى كل ثنايا الرائية – تقريبا – مما أعطاها تماسكا وانسجاما، وربما كان هذا مادعا " شكرى فيصل " الى الاعتقاد بأن " الحوار القصصى هو فن " عمر " الذى احتكره لنفسه ، ولم ينازعه فيه أحد ، فقد تفوق على " امرىء القيس " الذى كان لماحا أو خاطفا فى حواره ، بينا " عمر " وسعه وزاد شخصياته ، وهو بذلك ضمن له الخفة والطلاقة ومحبة الناس ، وذلك عندما جعله يجرى على لسان أصحابه " أصحاب الحوار " بلغتهم التى تناسب مستواهم"(١).

والحوار فى الرائية أساسه قول الشاعر ، أو صاحبته ، أو أختيها ، فبعد أن يدخل خباء "نعم " يقول :

فحييـــــت إذ فاجأتهـــــا فتولهـــــت ∴ وكـــــادت بمخفـــــوض التحيـــــة تجهـــــر
وقالـــت وعضـــت بالبنـــان فضـــحتنى ∴ وأنـــت امـــرؤ ميســـور أمـــرك أعســـر

(١) تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام – ص ٥٧٤– دار العلم للملايين – السابعة– ١٩٨٦م .

**وذكر سبب زيارته لها وردها على ذلك :**

فقلت لها بل قادنى الشوق والهوى ∴ اليك وما نفس من الناس تشعر
فقالت وقد لانت وأفرخ روعها ∴ كلاك بحفظ ربك المتكبر

**وعندما ترى أن الخطر قد لاح مع هبوب الحى يصبح الحوار أكثر جدية .**

فلما رأت من قد تنبه منهم ∴ وأيقاظهم قالت أشر كيف تؤمر
فقلت أباديهم فإما أفوتهم ∴ وإما ينال السيف ثأرا فيثأر
فقالت أتحقيقا لما قال كاشح ∴ علينا وتصديقا لما كان يؤثر

**ويعود الحوار ليصور موقفا جديدا بين "نعم " وبين أختيها حاملا فى طياته الحل للمأزق الذى وقع فيه العاشقان :**

فقالت لأختيها أعينا على فتى ∴ أتى زائرا والأمر للأمر يقدر
فأقبلتا ، فارتاعتا ، ثم قالتا ∴ أقلى عليك اللوم فالخطب أيسر
فقالت لها الصغرى سأعطيه مطرفى ∴ ودرعى وهذا البرد إن كان يحذر

**ويتحول المشهد لينقل جانبا آخر يكمل اللوحة القصصية ضمن حوار بين الأختين والشاعر الزائر .**

وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا ∴ أما تستحى أو ترعوى أو تفكر
إذا جئت فامنح طرف عينك غيرنا ∴ لكى يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

**-٥-**

**أما الحدث فالمقصود به:" الواقعة أو سلسلة الوقائع التى تبنى عليها القصة، وهذه الوقائع هى سلسلة الحكاية أو مايسمى بالمتن القصصى ، ويشترط أن تكون أجزاء الحدث متصلة بحيث يفضى بعضها إلى بعض فتنتهى إلى أثر كلى"[١]**

**والأحداث فى الرائية تعتمد على الصراع الداخلى والخارجى ، ونعنى بالصراع الداخلى ما يحدث داخل نفسية البطل ، وبالخارجى ما تواجهه الشخصية من أحداث .**

(١) الأدب العربى الحديث " مدارسه وفنونه وتطور قضاياه " – د– محمد صالح الشنطى– ص٤١٢– دار الأندلس للنشر والتوزيع– السعودية– الرابعة – ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م.

وتبدأ الأحداث فى التطور شيئا فشيئا حتى تتأزم، وتصل الأزمة الى ذروتها، وحين تصل الى غاية تعقدها ، تبدأ فى الانفراج والحل .

وتحوى القصة : مقدمة ، ووسط ، ونهاية .

أما المقدمة . فتبدأ من قوله فى البيت الأول :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ∴ غداة غد أم رائح فمهجر

الى قوله فى البيت الثامن عشر :

ووال كفاها كل شيء يهمها ∴ فليست لشيء آخر الليل تسهر

وفى هذه المقدمة يعرض الشاعر لحالته النفسية بعد فراق " نعم " ، ويبين حاله يوم قام بزيارتها ، ثم يعرض للشخصيات الرئيسة وهما " عمر ونعم"، وبعض الشخصيات الثانوية وهم :" قريب نعم،وأسماء صاحبة نعم "، التى توضح لنا العلاقة بين كل هذه الشخصيات .

ثم تبدأ الأحداث . فيحدثنا كيف تعرف على "نعم " ، " فأسماء" إحدى صواحبه القدامى حدثت " نعما " عنه ووصفته لها – فيما يبدو– وصفا جعل " نعما " تعشق " عمر " دون أن تراه ، حتى ظنت أنها ستظل تحبه الى أن تموت ، فظلتا تتبعان أخباره الى أن علمتا أنه سيمر " بمدفع أكنان " فوقفتا فى انتظاره .

ويظهر "عمر " وتصاب " نعم" بخيبة أمل شديدة حين رأت " عمر " لأول مرة ، فقد رأت أمامها رجلا أشعث أغبر ناحل الجسم ساهم الوجه ، وليس الشاب الوسيم الذى يأسر حسنه القلوب .

وعندما ترى " أسماء " علامات الدهشة على وجه "نعم" وهى التى وصفت لها " عمر" من قبل ، حاولت أن تبرر لها الواقع المرير ، فأرجعته الى سفر " عمر " بالليل والنهار ، وتعرضه لهجير الشمس ، وبرد الليل ، ورمال الصحراء ، فنحل جسمه ، واغبر وجهه ، وتشعث شعره .

أهذا الذى أطريت نعتا فلم أكن ∴ وعيشك أنساه الى يوم أقبر

فقالت نعم لاشك غير لونه ∴ سرى الليل يحى نصه والتهجر

لئن كان إياه لقد حال بعدنا ∴ عن العهد والإنسان قد يتغير

ويلتقط " عمر " هذا الاعتذار موضحا لها أنه رجل جواب أرض ، تقاذفت به فلوات، محاولا أن يقلل بذلك من حدة هذه المقارنة .

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت ∴ فيضحى وأما بالعشى فيخصر
أخا سفر جواب أرض تقاذفت ∴ به فلوات فهو أشعث أغبر
قليل على ظهر المطية ظله ∴ سوى ما نفى عنه الرداء المحبر

وبعد أن تعرف عليها ، كان لابد أن يجعلها فى عداد من خضعن له وأسلمن له قيادتهن، ولكن " نعم " استهواها سعى " عمر " وراءها ، فتدللت وتمنعت وتجاهلت حتى مجرد الرد على ما سأل .

بحاجة نفس لم تقل فى جوابها ∴ فتبلغ عذرا والمقالة تعذر

فازداد سعيه ، واختلف الى مكانها ، ولكن قريبا لها كان له بالمرصاد ، وجابهه بما يكره وحض رجال القبيلة ضده ، فاستشعر الخطر ، وتوقفت زيارته ، ولكن كيف السبيل الى "نعم"؟ فبدأ يبحث عن حل آخر ، وأخيرا اهتدى الى أن يبعث برسالة مع رسول من عنده وزوده بآية حتى تعرف أنه حقا رسول "عمر".

الكنى إليها بالسلام فإنه ∴ يشهر إلمامى بها وينكر
بآية ما قالت غداة لقيتها ∴ بمدفع أكنان ،أهذا المشهر؟

ولكن " نعم " تزداد تمنعا ، مدركة أنه لن ينصرف عنها الى سواها ، وهنا ينشب صراع داخل " عمر"هل يرحل ؟ أم يعزم على مواصلة المسير حتى يصل إليها وتلقى إليه المقاد .

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ∴ غداة غد أم رائح فمهجر

فهو يتساءل هل يرحل غدا فى الصباح الباكر ؟ أم يرحل الآن فى الليل ويواصل المسير خلال النهار وسط الهاجرة ؟ ، ثم نجده يختار الحل الثانى وهو : لا سبيل إذن الا زيارة " نعم " ليلا .

وهنا يبدأ " وسط القصة " باستعمال التشويق والإثارة من قوله :

وليلة ذى دوران جشمتنى السرى ∴ وقد يجشم الهول المحب المغرر

الى قوله :

فمـــا راعنـــى إلا منـــاد ترحلـــوا ∴ وقـــد لاح معـــروف مـــن الصـــبح أشـــقر

وفى " وسط القصة " تبدأ الأحداث فى الظهور والتطور والتعقيد ، فتبدأ الزيارة فى أول الليل وفيها من الخطر ما فيها ، فهو يتجشم الخطر اليها رغم قرب المكان .

وليلـــة ذى دوران جشـــمتنى الســـرى ∴ وقـــد يجشـــم الهـــول المحـــب المغـــرر

والتجشم ليس فى السرى فى حد ذاته ، ولكن لما فى الزيارة من المخاطر .

ويصل " عمر " إلى سفح جبل أو يفاع ، ويترك ناقته فى العراء ، ويعتريه هاجس ، ماذا يحدث لو أن أحد الحراس رأوه؟ ولكنه عازم على أن يتم ما بدأ .

فيصعد الجبل حتى يجد نفسه على حرف منه على خطر ، ويتحرك فوق هذا الشفا حسب حركة الحراس حتى لا يرونه فى طوافهم ، متعرضا للسقوط ، مشفقا خلال ذلك كله أن يراه أحد .

ويمضى الوقت ، ويغيب القمر ، وتطفأ المصابيح ، وتخمد النيران ، وينام الناس ، فينسل " عمر " بين الخيام ، ولكن أين خباء " نعم " فى حند س الظلام؟ ياويله إن دخل غير خبائها !، ولكنه يميز الخباء برباها ونشرها ، وتفاجأ " نعم" ويعتريها الخوف، ويلوح شبح الفضيحة، ولكنها فى قرارة نفسها سعيدة بمجيئه، وبتعريض حياته للخطر من أجلها،وينال "عمر" ما يشتهيه، وتستسلم له "نعم"، وتؤكد أنها له مادامت تدب فيها الحياة.

فأنـــت أبـــا الخطـــاب غـــير مـــدافع ∴ علـــى أمـــير مامكثـــت مـــؤمر

ويمضى الليل وأوقات السرور قصار ، فتنبه الفتاة العاشق الذى أسكرته النشوة أن الوقت قد حان لانصرافه قبل انبلاج الفجر ، ولكنه يساوف ويماطل ، فتغريه بموعد آخر تلقاه فيه فى " عزور"، ولكنه لا يزال فى سكرته ونشوته ، ويبدأ الفجر يسل سيفه من غمد الغلس ، ويرمى بأسهم أنواره فى أثناء الخباء ، ويموج المكان بالحركة ، وتشتد الجلبة ، فهو يوم تعزم فيه القبيلة على الرحيل ، فمن ذاهب وجاء ومناد ومجيب، وهنا تصل عقدة القصة الى ذروتها .

عندئذ تفزع الفتاة ، وتلجأ الى " عمر" تسأله المشورة والنصح،فلا تجد عنده جوابا شافيا ، فقصارى ما يمكن أن يفعله هو: أن يحاول أن يفوقهم هربا ، فإما أن ينجح فى ذلك ، وإما أن يقع فى أيديهم فيقتلونه ثأرا لشرفهم ودرأ للعار .

فلمـــا رأت مـــن قـــد تنبـــه مـــنهم ∴ وأيقـــاظهم قالـــت أشـــر كيـــف تـــؤمر

فقلـــت أبـــاديهم فإمـــا أفـــوتهم ∴ وإمـــا ينـــال الســـيف ثـــأرا فيثـــأر

ولكن " نعم " لا ترضى بهذا الحل ، فسواء نجح " عمر " فى الهرب أو أخفق، فسوف تتعرض هى للفضيحة ، فجميع أفراد القبيلة يعرفون علاقة " عمر بنعم " ، ولم يأل ذو قرابة جهدا فى التشهير بذلك ، فلابد إذن من مخرج آخر يضمن سلامة " عمر" ولا يجعل سرها يفشو ، فتلجأ الى أختيها فهما أكبر منها سنا وأكثر تجربة .

وتأتى نهاية القصة لتحل أزمة العاشقين .

أقـــص علـــى أختـــى بـــدء حـــديثنا ∴ ومـــالى مـــن أن تعلمـــا متـــأخر

لعلـــهما أن تطلبـــا لـــك مخرجـــا ∴ وأن ترحبـــا ســـربا بمـــا كنـــت أحصـــر

..... ∴ .....

فقالـــت لأختيهـــا أعينـــا علـــى فتـــى ∴ أتـــى زائـــرا والأمـــر للأمـــر يقـــدر

وتذهب " نعم" الى أختيها وتقول لهما :" أعينا على فتى "ولم تفصح عن اسمه ؟ ، وتقبل الأختان ، فتريان الفتى فترتاعان ، ومثار الروع هنا ليس فى وجود الفتى ؟ فهما تعلمان أن هناك رجلا فى خباء أختهما الصغرى ،ولكن سبب الروع أن ذلك الفتى هو " عمر" ، كيف استطاعت أختهما الصغرى الغريرة أن تجعل " عمر " – الذى تسعى النساء وراءه دون جدوى – يأتى اليها ؟

وبدافع من الغيرة والحسد والنقمة على "عمر " تقترحان حلا فيه شىء من السخرية والإهانة ، فتلبسانه ملابس النساء ، ولكن " عمر " لايبالى ويستمتع بالموقف، ويمشى بين النساء الثلاث، ويجتاز ساحة الحى إلى السلامة والأمان.

# التحليل الفنى للقصة

جاءت قصيدة الرائية قصة شعرية صورت واقعة حدثت أو قابلة للحدوث فى زمانها ومكانها وبيئتها دون ريب من السامع بأى من وقائع أحداثها .

-١-

وإذا نظرنا فى بعض عناصرها بشىء من التفصيل ، تطالعنا :

أولا- فكرتها بوضوح وهى ، مغامرة عاشق فى الوصول إلى فتاته فى بيئة لا تقر ذلك بسهولة ، فذهبت الحكاية تروى أحداثا قررت هذه الفكرة التى قام عليها بناء القصة ، لكن الشاعر أوصلنا إلى فكرته بطريقة مباشرة من خلال سرد الأحداث ، وقد أعلن عنها وروج لها منذ مطلع القصيدة ، ولم يتركها تتسرب للسامع مع تيار الأحداث والشخصيات التى تتفاعل معها ، وفى الوقت ذاته لم يحصر اهتمامه فى الفكرة وحدها، بل أولى الأحداث والشخصيات عناية جعلتها طبعية فى السياق ، ولم يوجهها قسرا وفق ارادته ومنطقه ، يدلنا على ذلك انصياعه الى الحل الذى رآه غيره فى الخروج من الخباء وقت هبوب الحى ، مما أعطى القصة جمالا وترك أثرا فى النفس ، وزاد هذا الجمال تلك الأحداث وطريقة عرضها .

-٢-

ثم يطالعنا " المكان "ونرى أن الشاعر لم يعن برسم معالم المكان ولم يبين أثره على الشخصيات الا ماورد عرضا :" كالشفا ، وساحة الحى " ، ومظاهر الطبيعة " :كالليل ، وطلوع الفجر ، وذلك فى مثل قوله :

فبت رقيبا للرفاق على شفا ∴ أحاذر منهم من يطوف وأنظر

فلما أجزن ساحة الحى قلن لى ∴ أما تتق الأعداء والليل مقمر

-٣-

أما الشخصيات . فنرى أن شخصية " عمر " فى الرائية ليست شخصية عادية مألوفة، ولا شخصية تقليدية ، فقد قدم " عمر " لنا نفسه من خلال خصيصة معينة وهى ( حبه للنساء ) ، وسعيه وراءهن رغم مافى ذلك من مخاطر .

فجاءت شخصية بسيطة ، رسمت بسطحية ، وافتقدت إلى العمق ، فهى ثابتة غير متطورة ، فقد صورها لنا عن طريق الوصف المباشر عن طريق الكلمات والأفعال دون تحليل ، ومن ذلك الوصف الخارجى الذى وصف به " عمر " رجولته وقوة تحمله، وردائه المحبر ، وفرسه الكريم ، الأبيات ( ١٤-١٥).

واستخدم " عمر" هذه الطريقة لتجسيم الشخصيات الأخرى فى قصته ، "فنعم " فتاة غنية مرفهة ، تميل الى اللهو والعبث ، وتعشق مشاهير الرجال ، وتجرى وراء لذاتها، وحين يأتى " عمر " إلى خبائها ليلا لاتمنعه ، وتقضى الليل معه .

و"أسماء " صاحبة " نعم" نفهم من الحوار بينهما أنها كانت على علاقة " بعمر " ، وأن وصفها " لعمر " أوقع " نعما " فى حبه دون أن تراه .

وأختا "نعم " " كنعم ". مرفهتان تحبان اللهو والعبث ، ولكنهما أكثر خبرة من "نعم" ، وتمكنهما تلك الخبرة من أن ييسرا " لعمر " طريقة الخروج من الحى سالما بإلباسه بعض ملابسهن والمشى بينهما متنكرا كامرأة .

ومن خلال ذلك نستطيع أن نكون صورة عن الحالة النفسية للشخصيات الرئيسة فى الرائية .

فأما الشخصية الرئيسة وهى " عمر " ." فهو إنسان قلق غير مستقر دائم التنقل ، كثير الملل ، يكره الاستقرار فى كل شىء ، وبهذا – أيضا – يرسم لنا صورة غير مباشرة عن قلقه الذاتى ، وعواطفه الحائرة التى تدفعه الى التنقل السريع بين النساء طلبا للمتعة والسعادة ، وما كثرة النساء فى حياته إلا صورة واضحة لذلك القلق الا نسانى العاطفى"[١].

(١) القصة والحكاية فى الشعر العربى فى صدر الإسلام والعصر الأموى- بشرى محمد الخطيب- ص٣٢٧-دار الشئون الثقافية العامة – بغداد – ١٩٩٠م

وإذا كان " عمر " هو القلق المتوتر ، فإن الشخصية الأخرى هادئة مطمئنة فى بحر من السعادة والأمان فى بيت بعلها .

وأعجبها من عيشها ظل غرفة ∴ وريان ملتف الحدائق أخضر

ووال كفاها كل شىء يهمها ∴ فليست لشىء آخر الليل تسهر

-٤-

ويعد الحوار من أمتع مافى القصة الشعرية فهو " سريع المناقلة ، سديد المساجلة ، محبوك الأطراف ، ينقل اليك الوقائع موجزة فى لغة سهلة بسيطة تخلو من الإغراب، أقرب ما تكون الى لغة الحياة اليومية"(١).

ومراجعة الحوار فى الرائية توقفنا على إعجاب " عمر " بنفسه ، وظهر هذا الاعجاب جليا فى المواجهة مع المرأة فى أثناء الحوار ، الأمر الذى دعا النقاد قديما وحديثا الى أن يعدوه شاعرا تحول من عاشق الى معشوق ، وهذه الصفة عدها النقاد المحدثون تجديدا ، قال "السيد عمارة:" وهذا ما يعد جديدا فى تاريخ الغزل فى الشعر العربى"(٢)، وعدها النقاد القدامى عيبا ، فقد جاء فى " الموشح " أن " ابن عتيق " لا يرضى فى " عمر قوله :"

بينما يذكرننى أبصرتنى ∴ دون قيد الميل يعدو بى الأغر

قلن تعرفن الفتى قلن نعم ∴ قد عرفناه وهل يخفى القمر ؟

ويعلق عليه قائلا :" أنت لم تنسب بها وإنما نسبت بنفسك ، كان ينبغى أن تقول : قلت لها ، فقالت لى ، فوضعت خدى ، فوطئت عليه"(٣)

ونلحظ –أيضا– فى حوار الرائية " الصدق " . فهو يعبر عن نفس قائله ، الجامع لكل انفعالاته ، الكاشف لكل أنواع الصراع العنيف ولا سيما داخل المرأة

(١) القصة القصيرة "دراسة ومختارات" د–الطاهر أحمد مكى– ص٤٥–دار المعارف –الثامنة ١٩٩٩م.

(٢) الحوارفى القصيدةالعربية الى نهاية العصر الأموى – ص٧٠–دار العلم للملايين –الأولى ١٩٩٣م.

(٣) للمرزبانى–ص٢٦٤–ت– على محمد البجاوى–دار نهضة مصر – ١٩٦٥م- الموشح

وخاصة فى قضية حبها للشاعر وخوفها من الفضيحة ،فهاهى " نعم" بعد أن يهدأ روعها ، وتطمئن لزائرها ، تدعو له بالحفظ والرعاية فى مستوى مختلف من طبقات الحوار.

فقالت وقد لانت وأفرخ روعها ∴ كلاك بحفظ ربك المتكبر

فأنت أبا الخطاب غير مدافع ∴ على أمير ما مكثت مؤمر

كذلك جعل " عمر " الحوار فى الرائية أشبه بالهدف الفنى للشاعر ، حيث طغى على صورة القصة فى القصيدة ، وذلك من خلال تصويره للواقع وتفجير الحيوية فيه للوصول الى حوار أمتع السامع بتلك المغامرة ، والجرأة التى شاركت المرأة فيها من خلال حوارها الممتع الذى استطاع بواسطته أن يكشف الشاعر " القناع عنها فى حيلها وطرقها وعواطفها ، وقدم ذلك بطريقة جديدة على الذوق العربى أثارت ضجيج النقد وضجيج الإعجاب"[١]

-٥-

وقد اتبع " عمر " فى سرد الأحداث أسلوب السرد المشوق ، فكل حادثة تثير فينا الشوق الى معرفة ما بعدها ، وقد ضاعف التشويق عنصر المفاجأة ، وذلك لأننا نتوقع أمرا فيحدث غيره، فنتوقع جديدا آخر ، ومثال ذلك .

فقد يخيل للمرء أن "عمر " سيمضى دون أن يتعرض لحرج ، فالقوم نيام ، و"نعم" تضرب له موعدا جديدا فى " عزور" لاطمئنانها الى أن كل لقاء سيكون سهلا ميسورا، ولكن الأمور تنقلب حين يفاجأ الحبيبان بيقظة القوم ، ثم نتوقع جميع الحلول الا أن يخرج " عمر " فى زى امرأة ، فيفاجئنا الحل الغريب الممتع فى آن معا .

ومن جمال السرد – أيضا– أن " عمرا" لايطيل ، بل يعزف عن التفاصيل الى الأحداث الرئيسة ، فهو يختصر الحديث عن ليله السعيد بأبيات قليلة (٣٧-٣٩) ،

(١) نزار قبانى وعمر بن أبى ربيعة–ماهر حسين فهمى –ص١٨٥–دار نهضة مصر –الأولى – ١٩٧١م

ويوجز ماكان من أمر الأختين فى لمحات سريعة ولكنها تفى بالغرض المطلوب ، وهذا النهج جدير بالقصص الشعرى الذى ينبو عن الجزئيات .

ويمكن ترتيب أحداث الرائية على النحو الآتى :

الأول – جلوس " عمر " على شفا فى موقف حرج يترقب ، وقد دله قلبه ورائحتها على مكانها ، ولكننا لا نعلم مصير ترقبه ؟ هل سينحج أم سيخفق؟ بل لا نكاد نعرف الغاية من الترقب ، لذلك نحن فى شوق الى معرفة ذلك .

الثانى– تسرب " عمر " الى خباء" نعم" والمفاجأة التى أذهلتها ، فكادت تجهر بالتحية، وهذه الحادثة نتيجة للأولى ، ولكنها تضع الشخصيتين موضعا متأزما ، فهل ترفض استقباله أم ترحب به ؟

الثالث– ترحيب " نعم بعمر" وقضاء الليل معا .

الرابع– اعتزام " عمر " الرحيل بعد ليلة سعيدة، واقتراب موعد يقظة القوم، وحتى هذه اللحظة تبدو الأحداث طبعية ، فلا توقع لطارىء ، ولا ترقب غير مفاجىء.

الخامس– ومن هنا تأتى الأزمة ، وتبدأ المفاجأة ، وذلك حين يسمع " عمر " منادى الرحيل ، وترى " نعم" القوم أيقاظا ، ويبحثان عن وسيلة للخروج من المأزق ، لقد انقلب كل شىء رأسا على عقب ، فما كان يبدو طبعيا قد تحول الى عقدة مستعصية لا خلاص منها ، وهنا يمكن رد رأى الدكتور " شوقى ضيف " عندما قال بعد أن ذكر بعض أبيات من الرائية :" وغزل " عمر " كله بنى هذا البناء القصصى ،وهو بناء غير كامل من حيث القصة ، فليس فيه عقدة ، وليس فيه تركيب ولا تحليل"[١]

اليس فى هذا المشهد عقدة بمفهومها الصحيح الذى أشار اليها نقاد القصة بقولهم : والعقدة تنجم عن ترتيب الحوادث ، وهى النقطة التى تتجمع عندها الخيوط

(١) التطور والتجديد فى الشعر الأموى– ص٢٣٦–دار المعارف – الثامنة–١٩٨٧م.

فيتعقد الموقف ويتلهف القارىء لمعرفة الحل " أو هى سلسلة من الحوادث يقع التأكيد فيها على الأسباب والنتائج"[١]

السادس- وفيه يظل الوضع معلقا ، فالخوف يستبد بالحبيبن حتى يأتى الحل على يد الأختين حين يرسمان خطة الرحيل وينفذانها .

وهذا الحل مفاجىء لأنه غير متوقع بالقياس الى أحداث القصة ، وشخصية " عمر " الذى ادعى البطولة ومبادرة القوم بالسيف .

والعلاقة بين الأحداث سببية رغم عنصر المفاجأة ، إذ إن الترقب تمهيد للقاء ، والثانى نتيجة للأول وسبب للثالث ، وعلى هذا النحو تترابط الأحداث عضويا سببيا منذ البداية حتى النهاية .

-٦-

عند قراءتنا للقصيدة نرى " عمر " شديد الواقعية ، فهو يشعر القارىء أن كل حادثة منتزعة من الواقع الحى ، ولا يعنينا فى الفن القصصى أن تكون الأحداث وقعت فعلا ، ولا أن تكون ممكنة الحدوث ، بقدر ما يعنينا أن يكون الفنان الواقعى أجاد العرض ، ويبدو لى أن وقائع القصة الشعرية قد حدثت فعليا .

ومجمل القول فى الرائية . إن قصة " نعم " الشعرية استوفت عناصر القصة فى مفهومها الحديث من: حوادث ، وشخصيات ، وحبكة ، ومكان ، وزمان ، وعقدة ، وحل ، فقد ترابطت أحداثها وتسلسلت ، وأحسن الشاعر حبكها فى حركة واضحة ، وتدافع بسرعة مناسبة ،أفضت إلى نهاية متوقعة،وكان الشاعر موفقا فى عرض موضوعه وإنهائه فى صورة جمعت بين الصدق والوضوح ، يؤيد ما ذهبنا اليه قول "ناصف ":ورائية " عمر " قصة متلاحمة الأبيات ، متتابعة الصور والخواطر ، دون تفكك أو مباعدة ولا إثارة من فضول أو حشو يمكن الاستغناء عنه "[٢]

(١) كيف تكتب القصة" القصيرة،الرواية،المقال الصحفى"-د-عبد العزيز شرف-ص٧٣-مؤسسة المختار للنشر والتوزيع -القاهرة - الأولى-٢٠٠١م.

(٢) القصة فى الشعر العربى الى أوائل القرن الثانى الهجرى-على النجدى ناصف-ص٦٧-دار النهضة المصرية للطباعة والنشر-القاهرة - دت.

# خاتمة نسأل الله تعالى حسنها

وبعد أن سهل الله – سبحانه وتعالى– على تمام البحث، أحمده – عز وعلا – أولا وآخرا على ذلك، وأسأله العفو والمغفرة إن حدث منى خطأ أو تقصير، وألخص أهم النتائج التى توصلت اليها وهى:

**أولا**– إن الفن القصصى لم يعرفه الأدب العربى قديما فقط ، بل وصل –أيضا – فى هذا الزمن المتقدم إلى مرحلة رفيعة جديرة بأن تفسح له مكانا مرموقا وسط الآداب العالمية .

**ثانيا**– إن الرائية قصة شعرية استوفت عناصر القصة فى مفهومها الحديث ، فقد ترابطت أحداثها وتسلسلت ، وأحسن الشاعر حبكها فى حركة واضحة وتدافع بسرعة مناسبة ، أفضت إلى نهاية متوقعة .

**ثالثا**– تأثر " عمر " فى حواره " بامرىء القيس" ، لكن شاعرنا توسع فى حواره وتفنن فيه ، فظهرت قصائده القصصية مستندة على بناء قصصى من أوسع دعائمه الحوار .

**رابعا**– جاء الحوار فى القصيدة بسيطا وصادقا فى تصوير النفسيات ، وتطور تطورا طبعيا بتطور الأحداث النفسية ، وهذا يؤكد أن اللغة العربية لغة حوار مسرحى ، لا كما زعم بعضهم من أنها تنبو عن الحوار .

**خامسا** – اتبع " عمر" أسلوب السرد المشوق فى سرد الأحداث ، فكل حادثة تثير فينا الشوق الى معرفة ما بعدها .

**سادسا**– لا يطيل "عمر" فى سرده، بل يعزف عن التفاصيل إلى الأحداث الرئيسة، وهذا النهج جدير بالقصص الشعرى الذى ينبو عن الجزئيات .

**سابعا**– أبانت الدراسة أن شعر " عمر بن أبى ربيعة " يتمتع فى كثير من قصائده بالبناء القصصى الكامل .

**ثامنا**– كان " عمر " موفقا فى عرض موضوعه وإنهاءه فى صورة جمعت بين الصدق والوضوح .

**تاسعا**– زاوج الشاعر فى ألفاظه بين البدوية والحضرية ، مما دل على مهارته الشعرية وذوقه العالى .

**عاشرا**– دلت الرائية على مذهب " عمر " فى الشعر ، فهى واقعية التعبير، تنقل الأحاسيس والمشاهد نقلا مباشرا .

**حادى عشر**– جاءت الموسيقا مناسبة لموضوع القصيدة الذى اعتمد على السرد والوصف ، مما جعل السامع يهتز ويصغى ويتفهم .

**ثانى عشر**– أشارت الرائية إلى بعض الحقوق الإسلامية مثل : حق المسلم على المسلم، وحق الزوجة على زوجها .

....وأخيرا :

فإن حالف هذا العمل التوفيق ، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وإن كانت الأخرى فحسبى أننى اجتهدت .

﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾

الباحث

# المصادر والمراجع

**أولاً- القرآن الكريم.**

**ثانيا – المصادر والمراجع.**

١- الأدب العربى الحديث " مدارسه وفنونه وتطور قضاياه "-د- محمد صالح الشنطى – دار الأندلس للنشر والتوزيع – السعودية – الرابعة- ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م .

٢- الأدب وفنونه-د عزالدين اسماعيل- دار الفكر العربى – القاهرة – الثالثة – دت

٣- أسرار البلاغة- عبد القاهر الجرجانى – ت- محمد رشيد رضا – مطبعة صبيح- السادسة -١٩٥٩م.

٤- أسس النقد الأدبى عند العرب – د- أحمد أحمد بدوى – دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة .

٥- تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام – شكرى فيصل – دار العلم للملايين – السابعة – ١٩٨٦م.

٦- التطور والتجديد فى الشعر الأموى -د- شوقى ضيف – دار المعارف- الثامنة- ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

٧- حب عمر بن أبى ربيعة وشعره – جبرائيل جبور- دار العلم للملايين – الأولى – ١٩٨٧م .

٨- الحوار فى القصيدة العربية الى نهاية العصر الأموى – السيد عمارة – دار العلم للملايين – الأولى – ١٩٩٣م.

٩- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجانى – دار الكتب العلمية – بيروت- ١٩٨٨م .

١٠- ديوان امرىء القيس – ت- محمد أبو الفضل ابراهيم – دار المعارف – القاهرة- ١٩٥٨م.

١١- ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكرى والسجستانى – ت- د- نعمان أمين طه – نشر- مصطفى الحلبى – الأولى – ١٣٧٨هـ- ١٩٥٨م.

١٢- ديوان عمر بن أبى ربيعة – ت- يوسف شكرى فرحات – دار الجيل – بيروت – الأولى – ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٣- ديوان عنترة – تحقيق ودراسة – محمد سعيد مولوى – المكتب الإسلامى – بيروت – الثانية- ١٩٨٣م .
١٤- ديوان وضاح اليمن- جمعه وقدم له وشرحه – د- محمد خير البقاعى – دار صادر – بيروت – الأولى – ١٩٩٦م .
١٥- الشعراء وإنشاد الشعر – على الجندى – دار المعارف- القاهرة – ١٩٦٩م.
١٦- شعر الفتوح الإسلامية فى صدر الإسلام – النعمان القاضى – الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة – ١٩٦٥م.
١٧- الشعر والشعراء- ابن قتيبة الدينورى – ت- أحمد شاكر – دار المعارف – القاهرة – الثانية –د ت .
١٨- الشعر والفنون الجميلة – إبراهيم العريض - دار المعارف – القاهرة – دت.
١٩- الصنعة الفنية فى شعر المتنبى – د- صلاح عبد الحافظ – دار المعارف – القاهرة – ١٩٨٣م .
٢٠- عروض الشعر العربى بين التقليد والتجديد – د- أمين عبد الله سالم – مطبعة منجد الحديثة – بنها – القاهرة – ١٩٨٥م .
٢١- عناصر الإبداع الفنى فى رائية أبى فراس الحمدانى – د- محمد عارف محمود حسين – مطبعة الأمانة – القاهرة- ١٩٨٨م .
٢٢- العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده – ابن رشيق القيروانى – ت- محى الدين عبد الحميد – دار الجيل – بيروت – الخامسة – ١٩٨١م.
٢٣- القصة فى الشعر العربى إلى أوائل القرن الثانى الهجرى – على النجدى ناصف – دار النهضة المصرية للطباعة والنشر – القاهرة –د ت .
٢٤- القصة القصيرة " دراسات ومختارات" – د- الطاهر مكى – دار المعارف – القاهرة- الثامنة – ١٩٩٩م .
٢٥-القصة والحكاية فى الشعر العربى فى صدر الإسلام والعصر الأموى – بشرى محمد الخطيب- دار الشئون الثقافية العامة – بغداد- ١٩٩٠م.

٢٦- كتاب الأغانى- أبو الفرج الأصفهانى – ضبطه وراجعه – عبد الله العلايلى – موسى سليمان – أحمد أبو سعد – دار الثقافة – بيروت – الثالثة – ١٩٦٢م .
٢٧- كتاب الصناعتين " الكتابة والشعر " – أبو هلال العسكرى- ت- محمد أبوالفضل إبراهيم – على محمد البجاوى – المكتبة العصرية – بيروت – ١٩٨٦م.
٢٨- الكامل فى اللغة والأدب – محمد بن يزيد المبرد – ت- محمد أبو الفضل إبراهيم – دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة – د ت .
٢٩- كيف تكتب القصة " القصيرة ، الرواية ، المقال القصصى " – د – عبدالعزيز شرف – مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – القاهرة – الأولى – ٢٠٠١م .
٣٠- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها – د – عبد الله الطيب – الدار السودانية – الخرطوم – ١٩٧٠م .
٣١- معجم البلاغة العربية د- بدوى طبانة- دار المنارة للنشر والتوزيع –جدة – السعودية- الثالثة- ١٩٨٨م.
٣٢- الموشح – المرزبانى – ت- على محمد البجاوى – دار نهضة مصر – القاهرة- ١٩٦٥م .
٣٣- نزار قبانى وعمر بن أبى ربيعة – ما هر حسين فهمى – دار نهضة مصر – القاهرة – الأولى – ١٩٧١م .
٣٤- النقد الأدبى – سيد قطب- دار الشروق – الأولى – د ت.
٣٥- النقد الأدبى الحديث – د- محمد غنيمى هلال – دار نهضة مصر للطبع والنشر – د-ت .
٣٦- نقد الشعر – قدامة بن جعفر- ت- كمال مصطفى – مكتبة الخانجى – الأولى – ١٩٤٨م.